سيرة الإمام أحمد بن حنبل

تأليف
صالح بن أحمد بن حنبل
المتوفى سنة ٢٦٦ هـ

صالح

تحقيق
محمد الزغلي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - هاتف : ٤٥٦٢٨٠
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٥٦٦٠٥

تقديم

بقلم: زهير الشاويش

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونقر له جل شأنه بالوحدانية، ونشهد لنبيه الكريم، محمد بن عبد الله بالرسالة صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وسلم.

أما بعد:

فهذه نفحة طيبة في ترجمة عالم السنة، وإمام المعتقد، والمجاهد في سبيل الله، والزاهد عما في أيدي الناس، الثقة الثبت المربي الإمام

أحمد بن محمد بن حنبل

سطّرها أقرب الناس إليه، ابنه العالم الورع، المحدث الثقة، القاضي

صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل

* * *

وإن سيرة أحمد ليست خفية على أحد، ممن يطلب الحق والعلم، فقد طبقت شهرته الآفاق، منذ وقوفه في وجه الهجمة الشرسة من قبل أفراخ الفلسفة اليونانية، وأتباع التقليد الأعمى، والذين حكّموا الرأي في أمور لا مجال فيها إلا للاتّباع، والسير على حكم الله، والتزام سنة رسوله، والفهم السلفي الأثري في كل شيء من أمور المعتقد والفقه.

ولا أريد التعرض لما أجمل في هذا الكتاب القيم، فكل ما فيه هو سيرة عطرة، لمثل جعله الله لنا من أمثلة الخير والقدوة والاتّباع..

ولكن أريد لفت النظر إلى استمرار الهجمة الشرسة التي قابلت في أيامها الأولى الأئمة المتبعين ومنهم: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي ـ رحمهم الله ـ، وقد مثّلهم في ردها الإمام أحمد، ومِنْ بعدهِ الإمام أبي الحسن علي الأشعري ـ بعد أن تبرأ من الاعتزال والجهمية والقدرية وأقوال الجعد بن صفوان وما فيها من الضلال ـ.

والهجوم على عقيدة التوحيد، وعلى صفات الرب جلّ شأنه بالتأويل والتشبيه استمر حتى اليوم..

وأخذ هذا التهجم طرائق مختلفة مغايرة عما كانت عليه أيام أحمد، والأشعري، وابن تيمية، وتحولت على أيدي شذاذ الآفاق، وأتباع الهوى، السائرين في ركاب الإلحاد والإشراك بالله.

فقد زعم هؤلاء أصحاب الهجوم الجدد: أنهم من أتباع السنة والجماعة، وأنهم مع ابن حنبل، والأشعري في المعتقد، وأن طريقهم مع زهد الإمام الرفاعي، ودعوة الإمام عبد القادر إلى آخر الدعاوى الكاذبة.

ولذاك سهل عليهم الدخول إلى أوساط المسلمين، والتكلم بأقوال تحمل السم في الدسم، وتجعلهم - في ظنهم - غير منبوذين.

منادين بأعلى الأصوات: نحن أتباع الأئمة، نحن مع الإمام أحمد، معتقدنا ما كان عليه الإمام الأشعري، ونحن منزهون الله عن المثيل والنظير (زعموا كاذبين)، بل هم معطلون، بل مشبهون الله بخلقه في كل مقال أو فعل - جل شأنه - بما وقر في نفوسهم من التشبيه الحقيقي، حيث جعلوا الله - تعالى - صنماً، أو وهماً.

غافلين عما كان عليه هؤلاء الأئمة العظام من الأخذ بكتاب الله، بما قال فيه من آيات توحيد لله، وإثبات لصفاته، والتزام بسنة رسوله الكريم، وأتباع سبيل المؤمنين التي كان عليها الصحابة الكرام، وآل بيت رسوله الكريم، والأئمة من التابعين وتابعيهم.

وقد عقد الإجماع على إثبات صفات الله، وأتباع أحمد، والأشعري بما صح عنهما.

وأما الأقوال الشاذة المخالفة لذلك، فإنها من نواعق الغربان السود، وتوهمات أهل الرطانة من أتباع جهم بن صفوان، ومنحرفة المخرفة، أكلة الحيّات، وبالعي النار، وأهل الطبل والمزمار، والسائرين وراء كل ناعق وزاعق.

والشاتمين للصحابة الكرام، والطاعنين في أهل الجهاد من السلف الصالح إلى يومنا هذا، والمنكرين لدعائم الدين، مستخفين بما فتحوا من أمصار، وأدخلوا الناس في دين الله أفواجاً. وبما أقاموا من معالم الحضارة والعمران.

وانظر إلى زعمهم بأنهم أتباع الإمام الأشعري، فإنك تجد أن أبا الحسن الأشعري، تابع للإمام أحمد فيما ثبت عنه، حيث قال:

«قولنا الذي تقول به، وديانتنا التي ندين بها:

١ ـ التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم.

٢ ـ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث.

ونحن بذلك معتصمون. وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته ـ قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون.

لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفخم، وعلى جميع أئمة المسلمين».

هذا قول الأشعري في آخر كتبه «الإبانة»، وله مثل ذلك في كتبه ومنها: «مقالات الإسلاميين» و«رسالته إلى أهل الثغر» وفي غير ذلك من مؤلفاته الكثيرة.

وانظر ما روى عنه الإمام ابن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري على الإمام الأشعري» ص٣٤.

وما قاله الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٨٥، وما نقله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ١٨٧.

وأما أقوال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية نقلاً عن الإمام الأشعري فهي أكثر من موضع من كتبه، ومنها على سبيل المثال: «مجموع الفتاوى» ١٢/ ٢٠٤ و٣/ ٢٢٧.

وانظر كلام العلامة أبي الحسن علي الندوي عن الإمام الأشعري، وشيخ الإسلام ابن تيمية.. لتعرف افتراء أدعياء الفرقة الضالة فيمن تحبش وتقمش من نتف سخيف الكلام، التي لا رابط بينها، ولا جامع لها، سوى

تكفير عباد الله المؤمنين، والبراءة من أهل العلم الصحيح والزهد والجهاد والدعوة الصادقة إلى رب العالمين.

والمنكرين لأخبار المجاهدين الداعين إلى السلفية التي كان عليها، بل وحامل لوائها، الإمام أحمد، وإخوانه من علماء المذاهب الإسلامية من أتباع الإمام أبي حنيفة، والإمام الشافعي.. وأتباع الإمام مالك صاحب الكلمة المشهورة:

«الاستواء معلوم، والكيف مجهول»

وكل من جاء بعدهم يسلم بكل ما جاء في كتاب الله من إثبات الصفات، مع الإيمان بأن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وتمام الآية ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وبذلك ننفي الحلول والتشبيه، ونثبت القدرة والسمع والبصر، ولله المثل الأعلى.

فهل هؤلاء المعطلة يؤمنون بما نزل من عندالله؟!

* * *

وإن في هذا الكتاب:

«سيرة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل»

الكثير من أخبار دعوة أحمد، وجهاد أحمد، وزهد أحمد، وأن حجمه الصغير يجعله في متناول يد القارئ الكريم ينتهي منه بجلستين لأنه كان في جزئين حديثين، كما كانت الأجزاء قديماً.

وإننا إذ شرفنا الله سبحانه بطباعة العديد الكبير من كتب علوم الإسلام من القرآن وعلومه، والسنة ودواوينها وأخبارها، وعلوم المعتقد على مذهب السلف الصالح، والفقه المعتمد على الدليل سلفاً وخلفاً، والدفاع عن الإسلام في مختلف الجوانب، ومن ذلك الكثير من مؤلفات الإمام أحمد، من مسنده إلى مسائله إلى فقهه ومعتقده.

يسرنا تقديم هذا الكتاب الذي حققه أخي العالم الفاضل الشيخ محمد الزغلي. بارك الله جهوده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بيروت غرة شوال ١٤١٧هـ — زهير الشاويش

مقدمة المحقق

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد،

فهذه سيرةُ رجل وضع تقوى الإله نُصْبَ عينيه فنوَّر بصيرته، وكان مثالاً لأروع الورع حتى عمَّ ذكرهُ الخافقين وبلغ حدَّ المشرقين ومطلع النَّيِّرين.

فالزهد فيما رغب فيه الناس بضاعتُه، والتقلُّل من الدنيا الذميمة تجارتُه، وحب العلماء والصالحين اكتسابُه، والقول بالمعروف والنهي عن المنكر صناعتُه، والسنة مذهبُه، ومحاربة البدع وجهادها ضالَّتُه.

وكانت المحنة التي تعرض لها هذا الإمام قدَراً، فسُبِكَ فخرج ذهباً خالصاً.

وكان له في الأخذ بالتَّقِيَّة والرُّخَص مندوحةٌ ومُتَّسعٌ، غير أنه آثَرَ تَحَمُّلَ ما تحمَّل من الأهوال من سجن وضرب وعذاب وهو صابر لا تلين قناتُه ولا تَضَعْضَعُ شَكِيمته، وذلك لأن الأخذ بالرُّخص من شيمة من لا يُقتدى به ولا يُستضاء بقبسه، أما الأئمة المجاهدون والأعلام من العلماء الذين يؤتسى بِفَعَالهم ويُعشى إلى ضَوْء نارهم فالأخذ بالعزائم عندهم أولى وبهم أليقُ وأجدرُ.

ولقد تداوله ثلاثةٌ من خلفاء بني العباس كانت تحيطُهم ثُلَّةٌ من أهل النفاق من أتباعهم ومن علماء السوء أهل البدع والأهواء الذين زينوا لهم

وألبسوا عليهم دينهم، فوقف وحده في ذلك المعترك، ثَبَّتَهُ قولُ اللَّه تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]، وقول رسول الله ﷺ: «إن من أعظم الجهاد كلمةَ حقٍّ عند سلطانٍ جائر»، فصدع بالحق غيرَ آبهٍ لما يعتريه من زلازل وأسواء.

ولو كان ممن يركن إلى الدنيا ويستهويه زخرفُها لأجاب ولأمسى إذن من ذوي الرُّتَب والمناصب ومن أهل الجاه الذين يُستشفعُ بهم عند السلطان، ولكنه كان رجلاً آثر الأخرى على الدنيا والحقَّ على الهوى حين ثبت في المحنة وتجرع ألوان البلاء في سبيل اللَّه صابراً محتسباً لا يريدُ علواً في الأرض ولا فساداً فطوبى له إذ غدا أُمَّةً وحده، وللَّه دَرُّه.

وما أحوجَ أهلَ هذا العصر إلى النَّهْل من سيرة هذا الإمام الطيبة، وهو العصر الذي كَثُرَ فيه المتزلفون لأهل الحكم فقُيِّمَ كلٌّ بِقَدْر تدانيه من السُّلطان وقيسَ ما احتجنَ من الفوائد بدرجة نفاقه، ونُبِذَ أهل العلم والتقوى حتى غَدَوْا جُذاماً يُفَرُّ منه وأوذوا وعُذِّبوا وشرِّدوا.

فاقرأ هذه السيرة قراءةَ ناشدٍ للحق، فإن لم تستطيع العمل بما فيها فأحِبَّ صاحبها واسأل اللَّهَ أن يهيئَ لهذه الأمة هداةً يصدُّونها عن طرق الغَيِّ ويهدونها إلى سبل الرشاد إنه نعم المولى ونعم النصير.

ترجمة المؤلف[1]

هو صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني الإمام المحدث الحافظ الفقيه القاضي أبو الفضل.

ولد سنة ثلاث ومئتين ببغداد وكان أكبَرَ إخوته، وقد سمع أباه وتفقه عليه، وسمع عفَّان بن مسلم وأبا الوليد الطيالسي وإبراهيم بن أبي سُويد وهو ابن الفضل الذَّارع وعلي بن المديني وعبد اللّه بن أبي بكر العَتَكِي وطبقتهم.

روى عنه ابنه زهير، وأبو القاسم البَغَوي وأبو بكر بن أبي عاصم ويحيى بن صاعد، ومحمد بن مَخْلَد وأبو علي الحصائري، ومحمد بن جعفر الخرائطي، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأحمد بن محمد بن يحيى القَصَّار شيخ لأبي نُعيم الحافظ.

وقال ابن أبي حاتم الرازي: كتبت عنه بأصبهانَ وهو صدوق ثقة.

قال الخلَّال في «أدب القضاء»: أخبرنا محمد بن العباس، حدثني محمد بن علي، قال: لما صار صالح إلى أصبهان قرئ عهده بالجامع

---

(١) **مصادر ترجمته:**
الجرح والتعديل (٤/ ٣٩٤)، وأخبار أصبهان (١/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩)، وطبقات الحنابلة (١/ ١٧٣ ـ ١٧٤)، وتاريخ بغداد (٩/ ٣١٧ ـ ٣١٩)، والمنتظم (٥/ ٥١)، والعبر (٢/ ٣٠)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٢٩ ـ ٥٣٠)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢٩)، وشذرات الذهب (٢/ ١٤٩ ـ ١٥٠)، وتهذيب تاريخ ابن عساكر (٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥)، والأعلام (٣/ ١٨٨) وغيرها.

فبكى كثيراً، وبكى بعض الشيوخ، فلما فرغ جعلوا يدعون له ويقولون: ما ببلدنا إلا من يحبُّ أباك. قال: أبكاني أني ذكرته ويراني في هذه الحالة، وكان عليه السَّواد، ثم قال: كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو متقشف لأنظر إليه، يحب أن أكونَ مثله. ولكن اللّٰه يعلم ما دخلت في هذا الأمر إلاَّ لدَيْنٍ غلبني وكثرة عِيال.

قال الخلاَّل: كان صالح سخياً جداً.

وقد كان ولي القضاء في طَرَسُوسَ من قبل أن يليَ قضاء أصبهان، وخرج إليها فمات بها.

قال ابن المنادي: توفي بأصبهان في رمضان سنة ست وستين ومئتين.

وقال أبو نعيم الأصبهاني: صالح بن أحمد بن حنبل قدم أصبهان قاضياً عليها وتوفي بها سنة خمس وستين ومئتين.

وصف النسخة المعتمدة

وهي النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب الوطنية بتونس، والمرقمة برقم ٦٥٦٨ والتي كان يملكها الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، ثم آلت إلى دار الكتب المذكورة بعد وفاته.

عدد أوراقها: تسع عشرة ورقة أي ٣٨ صفحة، وقياسها: ١٥سم x ١٢سم، متوسط عدد الأسطر في كل صفحة نحو من ١٧ سطراً، كتبت بخط نسخ مقروء لعله من خطوط القرن الثامن.

غير أن هذه النسخة فقدت العنوان، فهو غير مثبت عليها، والعنوان الذي وضع لها هو: سيرة الإمام أحمد بن حنبل، وهو من اختيار الأستاذ حسن عبد الوهاب الذي كان يمتلكها.

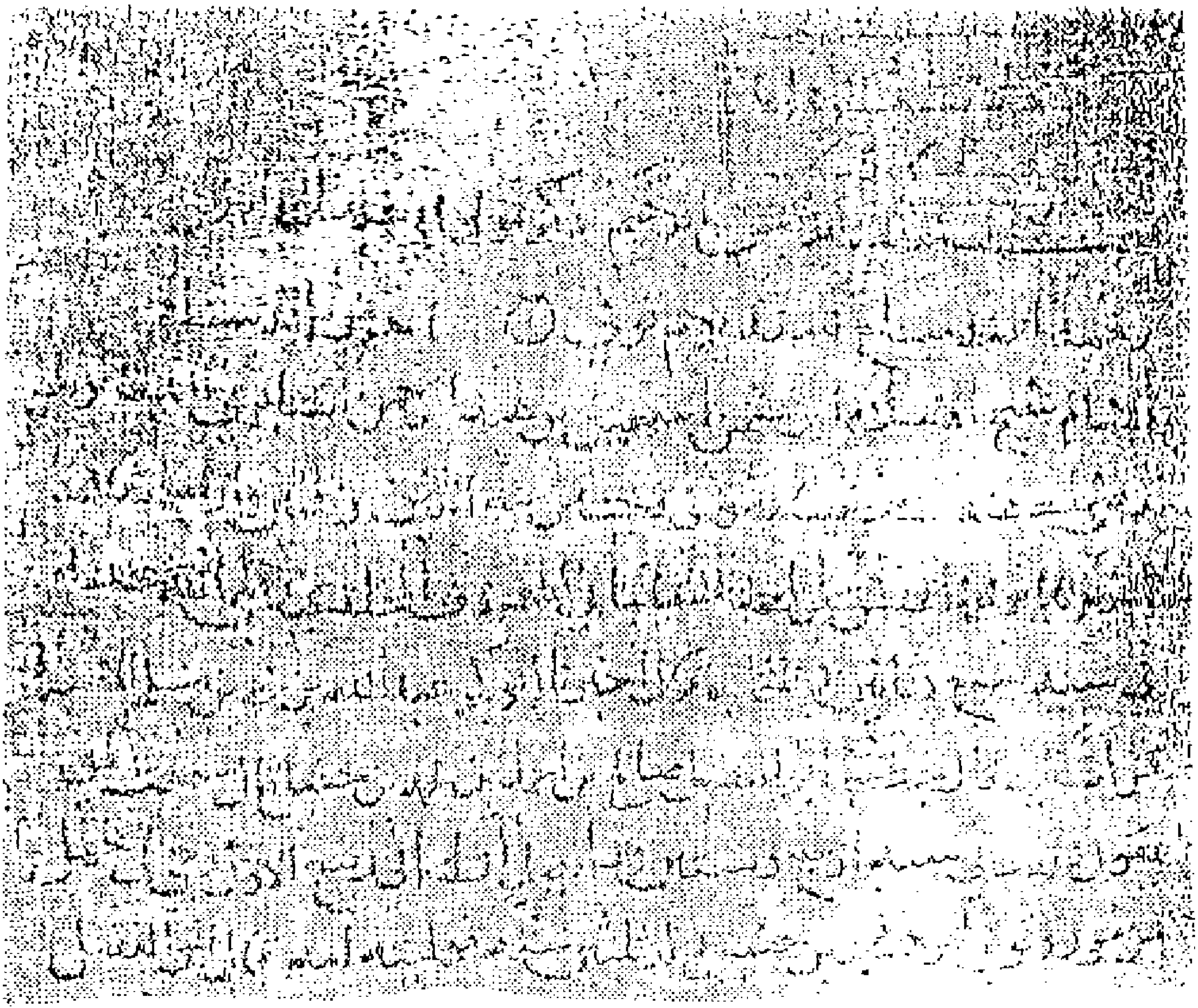
أما مؤلفها فثابت من انتهاء إسناد الرواة إليه.

فهو من رواية أبي عثمان الصابوني.

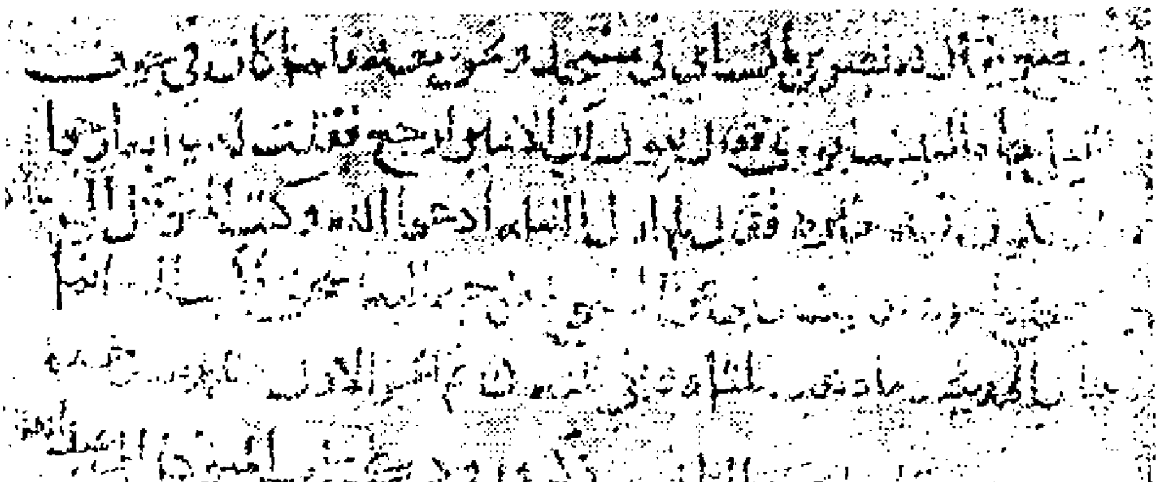
عن الحسن بن أحمد المَخْلَدي.

عن أبي بكر عبد اللّه بن محمد الإسْفَرَاييني، وهم كلهم ثقات.

عن صالح بن أحمد.



قطعة من الصفحة الأولى من المخطوط



نهاية الجزء الأول وبداية الجزء الثاني

الجزء الأول

ذكر مولد أبي عبدالله أحمد بن حنبل رحمه الله ومبلغ سنة يوم توفي

أخبرنا الأستاذ الإمام شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني النّيْسَابوري رضي الله عنه، قدم علينا دمشق في رجب سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد الشّيْباني المعروف بالمَخْلَدي رضي الله عنه في سنة سبع وثمانين وثلاث مئة، قال: أخبرنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن مسلم الإسْفَراييني قراءة عليه، قال: حدثنا أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول:

ولدت في سنة أربع وستين ومئة في أولها في ربيع الأول، وجيء بي حمْلاً من مَرْوَ(١). وتوفي أبوه محمد بن حنبل وله ثلاثون سنة، فوليته أمه(٢).

قال أبو الفضل، قال أبي: وكان قد ثقبت أذني أمي رحمة الله عليها، تصير فيها حبتي لؤلؤ، فلما ترعرعتُ نزعَتْهُما فكانتا عندها، فدفعتْهما إليَّ فبعتُهما بنحو ثلاثين درهماً.

قال أبو الفضل: توفي أبي رحمه الله في يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة

(١) هي مرو الشاهِجَان، وهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها، والنسبة إليها مَرْوَزي على غير قياس.

(٢) واسمها صفية بنت ميمونة ابنة عبدالله الشيباني.

خلت من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين، فكان سِنُّه من يوم ولد إلى أن تُوفِّيَ سبعاً وسبعين [سنة] رحمة اللَّه عليه[1].

ثم قال أبو الفضل: وجدت في بعض كتب أبي نسبه: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبداللَّه بن حَيَّان بن عبداللَّه ابن أنس بن عَوْف بن قاسِط بن مازن بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلَبة بن عُكَابَةَ ابن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفْصَى بن دُعْمِيٍّ ابن جَدِيلَةَ بن أسد بن ربيعةَ بن نِزار بن مَعَدٍّ بن عَدْنان بن أُدٍّ بن أُدَد بن الهَمَيْسَع [بن حمل][2] بن النَّبْت بن قَيْذار بن إسماعيل بن إبراهيم صلى اللَّه عليه وسلم.

(١) الثابت أن وفاته كانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وانظر «السير» (١١/٣٣٥) وغيره.

(٢) زيادة من «المنهج الأحمد» (١/٦).

تاريخ طلب أبي عبدالله الحديث

قال: سمعت صالحاً يقول: قال أبي: طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة.

قال أبي: ومات هُشَيم وأنا ابن عشرين سنةً وأنا أحفظ ما سمعت منه، ولقد جاء إنسان إلى باب ابن عُلَيَّةَ ومعه كتب هُشَيْم فجعل يُلقيها عليَّ وأنا أقول: هذا إسناده كذا، فجاء المُعَيْطيُّ وكان يحفظ فقلت له: أجبه فيما بقي واعرف من حديثه ما لم أسمع.

وخرجت إلى الكوفة سنة مات فيها هُشَيْم سنة ثلاث وثمانين ومئة وهي أول سنة سافرت فيها، وقدم عيسى بن يونس الكوفة بعدي بأيام سنة ثلاث وثمانين ولم يحجَّ بعدها.

قال: وأول خرجة خرجتُها إلى البصرة سنة ست وثمانين، قلت له: أي سنة خرجت إلى سفيان بن عُيَيْنَةَ؟ قال: في سنة سبع وثمانين قدمناها وقد مات فُضَيْل بن عِيَاض، وهي أول سنة حججت، وسنة إحدى وتسعين سنة حج الوليد بن مسلم وفي سنة ست وتسعين، وأقمت سنة سبع وتسعين، وخرجت سنة ثمان وتسعين، وأقمت سنة تسع وتسعين عند عبدالرزاق، وجاءنا موت سفيان ويحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن مهدي سنة ثمان وتسعين.

قال أبي: ولو كان عندي خمسون درهماً كنت قد خرجتُ إلى

جرير بن عبدالحميد إلى الرَّيِّ، فخرج بعض أصحابنا ولم يمكني الخروج لأنه لم يكن عندي.

قال أبي: وخرجت إلى الكوفة، فكنت في بيت تحت رأسي لَبِنَةٌ فَحُمِمْتُ، فرجعت إلى أمي رحمها اللّه ولم أكن استأذنتُها.

وقال: وحججتُ خمسَ حجج، ثلاثة راجلاً أنفقتُ في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهماً.

قال: وأول سماعي من هُشَيْم سنة تسع وسبعين، وكان ابن المبارك قدم في هذه السنة وهي آخر قدمة قدمها، وذهبت إلى مجلسه فقالوا: قد خرج إلى طَرَسُوسَ، وتوفي سنة إحدى وثمانين.

قال: وكتبت عن هُشَيْم سنة تسع وسبعين إلاَّ أني لم اعتمد بعض سماعي، ولزمناه سنة ثمانين وإحدى وثمانين وثنتين وثلاث، ومات في سنة ثلاث وثمانين، فكتبنا عنه كتاب الحج نحو من ألف حديث وبعض التفسير والقضاء وكتباً صغاراً. قلت: يكون ثلاثة الاف [حديث]؟ قال: أكثر.

سمعت صالحاً يقول: سمعت أبي يقول: صليتُ خلف إبراهيم بن سعد غير مرة، فكان يسلِّمُ واحدة، ورآني يوماً وأنا أكتبُ في الألواح فقال: تكتبُ؟

سمعت صالحاً يقول: قلت لأبي: يكون في الحديث قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فيجعلُه الإنسان قال النبي عليه السلام؟ قال: أرجو أن

لا يكونَ به بأس.

قلت: الشيخُ الخَرِفُ يزعم أنه يعرفُ كذا وكذا فلا يُفْهَمُ عنه ترى أن يُروى ذلك عنه؟ قال: أرجو أن لا يضيقَ هذا.

قلت: الكتابُ قد طال على الإنسان عهدُه لا يعرفُ بعض حروفه فيجيزُ بعض أصحابه، ما ترى في ذلك؟ قال: إن كان يعلمُ أنه كما في الكتاب فليس به بأس.

ما ذكر من أخلاق أبي عبدالله رضي الله عنه

سمعت صالحاً يقول: كان أبي إذا أراد الوضوءَ للصلاة لم يدع أحداً يستقي له الماء، كان هو يستقي بيده.

وكنت أسمعُه كثيراً يتلو سورة الكهف.

وكنت ربما اعتللتُ فيأخذُ قدحاً فيه ماء فيقرأُ فيه ثم يقول لي: اشرب منه واغسل وجهك ويديك.

وكان ربما خرج إلى البقال يشتري الحَزْمة من الحطب والشيءَ فيحملُه.

وجاء يوماً لِيَتَنَوَّرَ(1) وعندي رجل ضرير يقرأُ، فأخبرت أنه قعد هُنيهةً يستمعُ.

وكان يبيتُ عندي كثيراً قوم فيهم من يقرأ ويُغَبِّرُ(2)، فيبلغه ذلك فلا يقول شيئاً.

قال: ورأيته يوم الجمعة والإمام يخطبُ وسائل يسألُ، وكان إلى جنب أبي رجلٌ، وكان السائلُ مما يلي أبي، فأومأ الرجلُ وفي يده قطعة إلى أبي ليأخذَها ويعطيَها السائل، فلم يأخذْها من الرجل.

---

(1) أي يَطَّلِي بالنُّورَة وهي الهِنَاء.

(2) المُغَبِّرَة: قوم يُغَبِّرون بذكر الله، أي: يهللون ويرددون الصوت بالقراءة وغيرها، سموا بذلك لأنهم يُرَغِّبون الناس في الغابرة أي الباقية.

وكان ربما ركع في المسجد يوم الجمعة وربما انصرف فيصلي في بعض المساجد، ومضيتُ معه يوم جمعة إلى مسجد الجامع فوافقت الناس وانصرفوا، فدخل أبي المسجد وكان معنا إبراهيم بن هانيء النَّيْسَابوري فتقدم أبي فصلى بنا الظهر أربعاً. قال: قد فعله ابن مسعود بعلقمةَ والأسود.

أخبرنا المَخْلَدي: قال أخبرنا الإسْفَرَاييني، قال: حدثنا صالح قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن الحسن بن عبيدالله، قال: فاتتني الجمعةُ أنا وذَرٌّ، فصلَّينا في جماعة، قال: فذكرت ذلك لإبراهيم، فقال: قد فعله ابن مسعود بعلقمة والأسود يوم الجمعة.

قال المخلدي: قال أبو بكر الإسفراييني: سألت إبراهيم بن هانيء عن هذا فقلت: فاتتكم الجمعة مع أحمد فصلى بكم أربعاً؟ قال: نعم.

وأخبرنا الإسفراييني، قال: حدثنا صالح، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا سفيان، عن الحسن بن عبيدالله، قال: صليت أنا وذرٌّ فأمَّني وفاتتنا الجمعة، فسألتُ إبراهيم فقال: قد فعل ذلك عبدالله بعلقمة والأسود. قال سفيان: وأنا فعلته أنا والأعمش.

قال أبي: وقد فعله إياس بن معاوية وهو قاضي البصرة.

أخبرنا المخلدي، قال: أخبرنا الإسفَرَاييني،، قال: حدثنا صالح، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا زيد بن الحُبَاب، قال: أخبرني حُمَيْد بن عبيدة، قال: جئت إلى المسجد يوم الجمعة فوجدت الناس قد صلُّوا، وجاء إياس

وهو يومئذ قاضي البصرة، قال: فصلى بنا في المسجد في الزاوية فتقدم فصلى بنا في جماعة.

وقال أبي: وصلى سُوَيْد بن غَفَلَةَ وقد فاتته الجمعة فصلى الظهر في جماعة.

وقال صالح: فحدثنيه أبي، قال: حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن أبي عَوَانة، عن بعض أصحابه: أن سُوَيْد بن غَفَلَةَ فاتته الجمعة فصنع مثل ذلك.

سمعت صالحاً يقول: وحضرتُ مع أبي عند إبراهيم بن أبي الليث صاحب الأشجعي[1] وحضر عليٌّ بن المديني وعباس العنبري وجماعة وكثير من أهل الحديث، فنودي بصلاة الظهر، فسمعوا النداء فقال له: يا أبا عبدالله نخرج من المسجد أو نصلي هاهنا؟ فقال: نحن جماعة نصلي هاهنا، فصلوا.

ورأيتُ أبي وقد توفي عمٌّ له يقال له: عبدالله بن حنبل، فلما حُنِّط وكُفِّن قبَّل جبهته قبل أن يغطيَ وجهه، وكان إذا شهد جنازة يتقدم أمامَها أو يكون قريباً منها. وقال: يتقدَّمُها أحبُّ إليَّ.

حدثنا صالح، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبدالرزاق، قال: حدثنا مَعْمَر، عن الزُّهْري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر

---

(١) هو عبيد الله بن عبيد الرحمن الأشجعي أبو عبد الرحمن الكوفي توفي سنة ١٨٢ .

كانوا يمشون بين يدي الجنازة(١). قال الزُّهْري: وأخبرني سالم أن أباه كان يمشي بين يديها.

حدثنا صالح، قال: [حدثني أبي، قال:] حدثنا حَجَّاج، قال: حدثنا ليث قال: حدثني عُقَيْل بن خالد، عن ابن شهاب، أن سالم بن عبدالله أخبره، أن عبدالله بن عمر كان يمشي بين يدي الجنازة، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي بين يدي الجنازة وأبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم(٢).

حدثنا صالح، قال: وحدثني أبي، قال: حدثنا حجَّاج، قال: قرأت على ابن جُرَيْج، قال: أخبرني زياد أن ابن شهاب حدثه، قال: حدثني سالم، عن عبدالله بن عمر أنه كان يمشي بين يدي الجنازة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان يمشون أمامَها(٣).

وقال أبي: يرى أنه مرسل.

حدثنا صالح، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سفيان، عن ابن المنكدر، سمع ربيعة بن عبدالله بن هُدَيْر، قال: رأيت عمر يقدم الناس أمام جنازة زينب بنت جحش.

---

(١) حديث صحيح. رواه الترمذي (١٠٠٩) عن الزهري مرسلاً. وانظر ما بعده.

(٢) حديث صحيح. رواه أحمد في «المسند» (٢/١٤٠) عن عبدالله بن عمر، بهذا الإسناد، والترمذي (١٠٠٧)و (١٠٠٨).وسقط من الأصل عبارة: حدثني أبي، فاستدركتها.

(٣) حديث صحيح. رواه أحمد (٢/١٤٠) عن ابن عمر، بهذا الإسناد، و زياد هذا هو ابن سعد، وحجَّاج هو ابن محمد المصيصي.

قال: وكان أبي إذا صلى على جنازة لم يجلس حتى يوضعَ السريرُ، وقال: لا يجلسُ حتى توضعَ من أعناق الرجال.

وكان يُكبِّرُ على الجنازة أربعاً، ويرفع يديه مع كل تكبيرة، ويقرأ فاتحة الكتاب في أول تكبيرة، ثم يسلم تسليمةً واحدةً. وكان إذا دخل المقبرة خلع نعليه وأمسكهما بيده.

وربما قال لجارية لي: مولاك في البيت؟

وكان إذا ولد لي مولود سماه، وكان إذا ولد لي ابنة يقول: الأنبياء كانوا آباءَ بناتٍ، ويقول: قد جاء في البنات ما قد علمتَ.

قال: وولد لي مولودٌ فأهدى لي صديق شيئاً، ثم أتى على ذلك شهرٌ وأراد الخروج إلى البصرة، فقال لي: تُكَلِّم أبا عبدالله يكتب لي إلى المشايخ بالبصرة؟ فكلمته، فقال: لولا أنه أهدى إليك لكتبتُ له، ولست أكتب له.

وأهدي إليه رجل وُلد له مولود حلوان فالوذج، فأهدي إليه سكَّراً بدراهم صالحة.

وأكل يوماً في منزلي فأخذ لقمة فناولها الخادم. وكان ربما خُبز له فيصير له في فَخارة عدساً وشحماً، وربما قال: صيِّروا فيه تمرات شِهْريز[1] فكانرذا أراد أن يأكل يجيء إلى الصبيانِ بِقَصْعَة من ذلك العدس، فيصوت ببعضهم فيدفعه إليه فيضحكون ولا يأكلونه.

---

(١) نوع من التمر .

وكان كثيراً ما يأتدِمُ بالخَلِّ، وربما رأيته يأكل الكِسَرَ فينفضُ الغُبَار عنها ثم يُصَيِّرُها في قَصْعَة ويصب عليها الماء حتى تلينَ، ثم يأكلُها بالملح، وما رأيته قطُّ اشترى رمَّاناً ولا سفرجلاً ولا شيئاً من الفاكهة إلا أن يشتريَ بِطيخة فيأكلُها بالخبز أو عنباً وتمراً، فأما غير ذلك فما رأيتُه قطُّ اشتراه.

وكنا ربما اشترينا الشيءَ فنسترُه عنه حتى لا يراه فيوبِّخُنا على ذلك.

وقال لي: إن كانت والدتُك في الظلام تغزلُ غَزْلاً دقيقاً فتبيعُ الأستار بدرهمين أو أقلَّ أو أكثر، فكان ذلك قوتَنا.

وكان قديماً قبل أن نأخُذَ من السلطان يأكلُ عندنا وربما وَجَّهْنا بالشيءِ فيأكل منه.

ودخل يوماً إلى منزلي وقد غيرنا سقفاً لنا، فدعاني ثم أملى عليَّ حديث الأحنف بن قيس: قال: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حمَّاد ابن سَلَمَةَ، عن يونُسَ، عن الحسن، قال: قدم الأحنف بن قيس من سفر وقد غَيَّروا سقف بيته حمر شقائقَ وخضَّروها، فقالوا له: أما ترى إلى سقف بيتك؟ فقال: معذرةً إليكم إني لم أره، لا أدخلُه حتى تغيروه.

واعتللتُ من عيني ليلة فلم يزل عندي، فقلت: اللهم إني أسألُك الصبر، فقال: سل اللَّهَ العافيةَ، فإنما الصبرُ إنما يكونُ مع البلاء.

وكان كتب إلى إسحاق بن راهويه، فكتب إليَّ إسحاق: إن الأمير عبداللَّه بن طاهر وجه إليَّ فدخلت عليه وفي يدي كتاب أبي عبداللَّه فقال:

ما هذا الكتاب؟ فقلت: كتاب أحمد بن حنبل. فقال: هاتِه، فأخذه فقرأه وقال: إني لأحبه وأحبَ حمزة بن هَيْصَم البُوشَنْجي لأنهما لا يختلطانِ بأمر السُّلطان. ثم قال: لست آمَنُكَ على هذا الكتاب. وأخذه فوضعه تحت مُصَلاَّته. فقرأت كتاب إسحاق على أبي فأمسك عن الكتابة إليه[1].

وكان يَتَنَوَّرُ في البيت إلا أنه قال لي يوماً، وكان يوماً شتوياً: أريدُ أدخل الحمَّام بعد المغرب، فقل لصاحب الحمَّام، فقلت لصاحب الحمّام، فلما كان المغرب قال: ابعثْ إليه إني قد ضربت عن الدخول، وتَنَوَّر في البيت.

وأردت أن أشتريَ جاريةً نصرانيةً، فقال: لا تشترِ نصرانيةً.

واشتريت جاريةً فشكتْ إليه أهلي فقال: كنتُ أكره لهم الدنيا، وكان ربما بلغني عنكما الشيءُ. فقالت له: يا عمِّ ومن يكرهُ الدنيا غيرُكَ؟ فقال لها: فشأنك إذن.

---

(١) أي أمسك عن مكاتبة إسحاق بن راهويه بسبب تبذله بالكتب وقلة تحفظه مما يؤدي إلى نشر ما قد يكون سراً.

ما ذكر في زهد أبي عبدالله رضي الله عنه

قال أبو الفضل: دخلت يوماً على أبي أيام الواثق والله يعلم على أيِّ حالة نحن،و قد خرج لصلاة العصر، وكان له لِبْدٌ يجلس عليه وقد أتى عليه سنون كثيرة حتى قد بَلِيَ، وإذا تحته كتاب كاغَدٌ، وإذا فيه:

بلغني يا أبا عبدالله ما أنت فيه من الضيق وما عليك من الدَّيْن، وقد وجَّهْتُ إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان لتقضيَ بها دينك، وتوسع على عيالك، وما هي من صدقة ولا زكاة، وإنما هو شيءٌ وَرِثْتُهُ من أبي، فقرأتُ الكتاب ووضعتُه، فلما دخل قلت له: يا أبتِ ما هذا الكتاب؟ فاحمرَّ وجْهُهُ وقال: رفَعْتُهُ منك. ثم قال: تَذْهَبُ بجوابه[1]. فكتب إلى الرجل:

وصل كتابُكَ إليَّ ونحنُ في عافية، فأمَّا الدَّيْن فإنه لرجلٍ لا يُرْهِقُنا وأما عيالُنا فهم في نعمة والحمد لله. فذهبتُ بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتابَ الرجل، فقال: ويحك لو أن أبا عبدالله قبِل هذا الشيءَ ورمى به مثلاً في دجلة كان مأجوراً! لأنَّ هذا الرجل لا يفوت له معروف.

فلما كان بعد حين وصل كتاب الرجل بمثل ذلك، فردَّ عليه الجواب بمثل ما ردَّ. فلما مضت سنة أقل أو أكثر ذكرناها، فقال: لو كنا قبِلناها كانت قد ذهبتْ.

قال: وشهدتُ ابن الجَرَوِيِّ أخا الحسن وقد جاءه بعد المغرب فقال: أنا

---

(١) وهي كذلك في «الحلية» (٩/١٧٨)، و «المناقب» لابن الجوزي (ص: ٢٣٢)، وأما في «السير» (٩/٢٠٦) فهي: «لجوابه» باللام.

رجل مشهور، وقد أتيتُكَ في هذا الوقت وعندي شيءٌ قد أعددتُه لك، وأُحِبُّ أن تَقْبَلَهُ، وهو ميراثٌ. [فلم يقبل][1]، فلم يزلْ به، فلما أكثر عليه قام ودخل[2].

قال أبو الفضل: فأخبرت عن الحسن قال: قال لي أخي: لما رأيتُـه كلما ألححتُ عليه كلما ازداد بُعْداً قلت: أَخْبِرْهُ كم هي. قال: قلت: يا أبا عبدالله هي ثلاثةُ آلاف دينار، فقام وتركني.

قال يوماً: أنا إذا لم تكن عندي [قطعة] أفرح[3].

وقال له أبو محمد بوران: عندي خف أبعث به إليك؟ فسكت، فلما عاد إليه أبو محمد، قال: يا أبا محمد لا تبعثْ بالخف فقد شغل قلبي عليَّ.

ووجه رجل من الصين بكاغَدٍ[4] صيني إلى جماعة من المحدِّثين منهم يحيى وغيره، ووجه بِقِمَطْرٍ إلى أبي فردَّه.

وقال أبي: جاءني ابن يحيى بن يحيى[5]، وما أخرجت خراسان بعد

---

(١) زيادة من «الحلية» (٩/١٧٨).

(٢) في ترجمة الحسن بن عبدالعزيز الجَرَوي من «السير» (١٢/٣٣٣-٣٣٥) ما يفيد بأن الحسن نفسه هو الذي عرض المال.

(٣) في الأصل: «أخرج»، وليست بشيء، والتصويب من «الحلية» (٩/١٧٨)، و«المناقب» لابن الجوزي (ص:٢٣٤)، و«السير» (١١/٢٠٩).

(٤) أي قرطاس، وهي من الكَلِم المعرَّب.

(٥) في «السير» (١١/٢٠٧): جاءني يحيى بن يحيى، والجادة: ابن يحيى بن يحيى، وهي كذلك في «الحلية»، و«المناقب» لابن الجوزي.

ابن المبارك رجلاً يشبه يحيى بن يحيى، فجاءني ابنه فقال: إن أبي أوصى بِمَبْطَنَة[1] له لك وقال: يَذكرني بها، فقلت: جيءْ بها. فجاء برزمة ثياب فقلت له: اذهب رحمك اللّه[2]، فقلت لأبي: بلغني أن أحمد الدَّوْرقيَّ أُعْطِي ألفَ دينار، فقال: أي بُنَيَّ ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[3].

ذكر يوماً عنده رجل فقال: يا بُنَيَّ الفائز من فاز غداً ولم يكن لأحد عنده تَبِعَةٌ.

وذكر له ابن أبي شَيْبَةَ وعبد الأعلى النَّرْسِي ومن قُدِم به إلى العسكر من المحدثين، فقال: إنما كانت أيامٌ قلائلُ، ثم تلاحقوا وما تحلَّوْا منها بكثير شيء.

وجئت يوماً إلى المنزل فقيل لي: قد وجه أبوك أمسِ في طلبك، فقلت: وجَّهْتَ في طلبي؟ فقال: جاءني أمس رجل كنت أحبُّ أن تراه، بينا أنا قاعد في نحر الظهيرة إذا برجل يسلِّمُ بالباب، فكأن قلبي ارتاح له، فقمتُ ففتحتُ الباب، فإذا أنا برجل عليه فَرْوَةٌ، وعلى أم رأسِه خِرْقَةٌ، ما تحت فَرْوِهِ قميصٌ ولا معه رَكْوَةٌ ولا جِرابٌ ولا عُكَّازٌ، قد لَوَّحته الشمسُ، فقلت: ادخل. فدخل الدِّهليزَ، فقلت: من أين أقبلتَ؟ قال: من ناحية المشرق أريدُ بعض هذه السَّواحل، ولولا مكانُك ما دخلتُ هذا البلد، إلاَّ

---

(١) هي كذلك في «السير» (١١/٢٠٧)، أما في «الحلية» (٩/١٧٩) فقد جاء: «بمنطقة».

(٢) في «السير» (١١/٢٠٧)، و«المناقب» (ص: ٢٣٧) بزيادة: يعني ولم يقبلها.

(٣) سورة طه: آية ١٣١.

أني نويتُ السَّلام عليك: قلت: على هذه الحال؟ قال: نعم. ثم قال لي: ما الزُّهد في الدنيا؟ قلت: قِصرَ الأمل. قال: فجعلتُ أعجبُ منه، فقلتُ في نفسي: وما عندي ذهبٌ ولا فَضَّةٌ، فدخلتُ البيتُ فأخذت أربعةَ أرغفة فخرجتُ إليه، فقلت: ما عندي ذهب ولا فضة، وإنما هذا من قُوتي. قال: أو يَسُرُّكَ يا أبا عبدالله أن أقبلَ ذلك؟ قال: قلت: نعم. قال: فأخذها فوضعها تحت حِضْنِه. وقال: أرجو أن تكْفِيَني زاداً إلى الرَّقَّة[1]، أستودِعُكَ اللَّه.

قال: فلم أزلْ قائِماً أنظر إليه إلى أن خرج من الزقاق، وكان يذكره كثيراً.

وكنت أسمع أبي كثيراً يقول: اللهم سَلِّم سَلِّم.

حدثنا صالح، قال: فحدثني أبي، قال: حدثنا يونُس بن محمد، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: زعم يحيى بن سعيد، أن سعيد بن المُسَيِّب كان يقول: اللهم سَلِّمْ سلم.

وكان أبي إذا دعا له رجل يقول: ليس يُحْرِزُ المؤمنُ إلاَّ حفرتَه، الأعمال بخواتيمها.

وكان رجل يختلف مع خلف المُخَرِّمي إلى عفَّان يقال له أحمد بن الحَكَم العطَّار، فختن بعض ولده، فدعا يحيى وأبا خَيْثَمَةَ وجماعة من أصحاب الحديث، وطلب إلى أبي أن يحضر فمَضَوْا ومضى أبي بعدهم وأنا

---

(١) مدينة مشهورة على الفرات.

معه، فلما دخل أجْلِس في بيت ومعه جماعة من أصحاب الحديث ممن كان يختلف معه إلى عفان، فكان فيهم رجل يكنى بأبي بكر يعرف بالأحول، فقال: يا أبا عبدالله هاهنا آنيةٌ من فضة فالتفت فإذا كرسيٌّ فقام وخرج وتبعه من كان في البيت، وسأل من كان في الدَّار عن خروجه فأخبروا فتَبِعَهُ منهم جماعة، وأخبر الرجل فخرج إلى أبي، فحلف أنه ما علم بذلك ولا أمر به، وجعل يطلب إليه فأبى، وجاء [الرجلُ] عفَّانَ فقال له الرجل: يا أبا عثمان أطلب إلى أبي عبدالله أن يرجع، فكلمه عفَّانُ، فأبى أن يرجعَ، فنزل بالرجل أمرٌ عظيمٌ.

ما ذكر من ورود كتاب المأمون في المحنة من طَرَسُوسَ وبإشخاص أبي رحمه الله ومحمد بن نوح رضي الله عنهما

سمعت أبا الفضل صالح قال: سمعت أبي يقول: لما أدخلنا على إسحاق بن إبراهيم[1] للمحنة، فقرىء عليه كتاب الذي كان إلى طرسوس[2]، فكان فيما قرىء علينا: ﴿ليسَ كمثلِهِ شيءٌ﴾[3]، وهو ﴿خالقُ كلِّ شيءٍ﴾[4]. فقال أبي: فقلت: ﴿وهو السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[5]، فقال بعض من حضر: سله ما أراد بقوله: ﴿وهو السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، فقال أبي: فقلت هو كما قال تبارك وتعالى.

وسمعت أبا الفضل يقول: ثم امتحن القوم فوجه بمن امتنع إلى الحبس، فأجابَ القوم جميعاً غيرَ أربعة: أبي رحمه اللّه، ومحمد بن نوح، وعبيداللّه بن عمر القواريري، والحسن بن حماد سَجَّادة[6]، ثم أجاب عبيداللّه بن عمر والحسن بن حماد، وبقي أبي ومحمد بن نوح في الحبس، فمكثنا أياماً في الحبس،ثم ورد كتاب من طَرَسُوسَ بحملهما، فحمل أبي

---

(١) هو صاحب الشرطة ببغداد.

(٢) في «السير» (٩/٢٣٨): يعني المأمون.

طَرَسُوس بوزن قَرَبُوس: بلد في آخر حدود الشام كانت من ثغور المسلمين، قريبة من الساحل بينها وبين أَذَنَة ستة فراسخ.

(٣) سورة الشورى: آية ١١.

(٤) سورة الأنعام: آية ١٠٢.

(٥) تتمة الآية الآنفة من سورة الشورى.

(٦) لقب للحسن بن حماد بن كُسَيْب الحضرمي أبي علي البغدادي.

ومحمد بن نوح رحمة اللَّه عليهما مُقَيَّدين زميلين أخرجا من بغداد فصرنا معهما إلى الأنبار(١). فسأل أبو بكر الأحول أبي فقال له: يا أبا عبداللَّه، إن عرضت على السيف تجيب؟ فقال: لا.

قال أبي: فانطُلِق بنا حتى دخلنا في الرَّحْبَة(٢) فلما دخلنا فيها وذلك في جوف اللَّيل وخرجنا من الرَّحْبَة عرض لنا رجل فقال: أيُّكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا، فسلَّم على أبي ثم قال: ياهذا ما عليك أن تقتلَ هاهنا وتدخل الجَنَّةَ هاهنا، ثم سلَّمَ وانصرف، فقلت: من هذا؟ فقيل: هذا رجل من ربيعة العرب يقول الشعر في البادية يقال له: جابر بن عامر.

فلما صرنا إلى أَذَنَةَ(٣) ورحلنا منها وذلك في جوف الليل وفُتِحَ لنا بابها لقينا رجل ونحن خارجون من الباب وهو داخل فقال: البشرى فقد مات الرجل.

قال أبي: وكنت أدعو اللَّه أني لا أراه.

فحدثني أبي قال: حدثنا معمر بن سليمان،عن فرات بن سلمان(٤)، عن ميمون بن مِهْران قال: ثلاث لا تَبْلُوَنَّ نفسَك بهن: لا تدخلْ على السلطان وإن قلت آمُرُه بطاعة اللَّه، ولا تَدْخُلَنَّ على امرأة وإن قلتَ أُعَلِّمُها

(١) مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ.

(٢) هي رَحْبَة مالك بن طوق، على الفرات بين الرَّقَّة وبغداد إلا أنها إلى الرقة أقرب.

(٣) بلد قرب المَصيصة وطرسوس كانت من ثغور المسلمين.

(٤) في الأصل: معتمر بن سليمان عن مرار بن سليمان، خطأ والصواب ما أثبت وهو معمر بن سليمان الرَّقي وشيخه فرات بن سلمان الجَزَري.

كتاب اللَّه ولا تُصْغِيَنَّ بسمعك لذي هوىً فإنك لا تدري ما يعلقُ بقلبك منه.

سمعت أبا الفضل يقول: فصار أبي ومحمد بن نوح إلى طَرَسُوسَ، وجاء نعي المأمون من البَذَنْدُون[1]، فرُدًّا في أقيادهما إلى الرَّقَّة، وأخرجا من الرقة في سفينة مع قوم محتبسين، فلما صاروا بِعَانَةَ[2] توفي محمد ابن نوح، فتقدم أبي فصلى عليه، ثم صار إلى بغداد وهو مقيد فمكث باليَاسِرية[3] أياماً، ثم صير إلى الحبس في دار اكتُرِيَتْ له عند دار عمارة، ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامَّة في درب الموصلية، فمكث في السجن منذ أخذ وحمل إلى أن ضُرب وخُلِّي عنه ثمانية وعشرين شهراً. قال أبي: فكنت أصلي بهم وأنا مُقَيَّدٌ.

وقال أبي: إذا كان القيد لا يَحْجُزُهُ عن تمام الصلاة فلا بأس، وكنت أرى بوران يحمل له في دورق ماءً بارداً فيذهبُ به إلى السجن.

---

(١) البَذَنْدون: بفتحتين وسكون النون ودال مهملة وواو ساكنة ونون: قرية بينها وبين طرسوس يوم من بلاد الثغر.

(٢) بلد مشهور بين الرقة وهيت وهي مشرفة على الفرات.
وجاء في الأصل: عانات، والجادة ما أثبت.

(٣) قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى بينها وبين بغداد ميلان.

ذكر محنة أبي إسحاق المعتصم لأبي رحمه الله

سمعت أبا الفضل يقول: قال أبي رحمه الله: لما كان في شهر رمضان ليلة تسع عشرة خلت منه، حولت من السجن إلى دار إسحاق بن إبراهيم وأنا مقيد بقيد واحد، يوجه إلى كل يوم رجلين سماهما أبي.

قال أبو الفضل: وهما أحمد بن رباح وأبو شعيب الحجَّام يكلماني ويناظراني فإذا أرادا الانصراف دُعِيَ بقيد فقُيِّدت، فمكثت على هذا الحال ثلاثة أيام، وصار في رجلي أربعة أقياد.

فقال لي أحدهما في بعض الأيام في كلام دار وسألته عن علم الله فقال: علم الله مخلوق. قلت: يا كافر كفرت[1]. فقال لي الرسول الذي كان يحضرُ معهم من قِبَل إسحاق: هذا رسول أمير المؤمنين، قال: فقلت: إن هذا قد كفر، وكان صاحبُه الذي يجيء معه خارجاً، فلما دخل قلت: إن هذا زعم أن علمَ الله مخلوقٌ، فنظر إليه كالمنكر عليه ما قاله ثم انصرف.

قال أبي: وأسماءُ الله في القرآن، والقرآنُ من علم الله، فمن زعم أن القرآن مخلوقٌ فهو كافر، ومن زعم أن أسماء الله مخلوقةٌ فقد كفر.

قال أبي: فلما كانت ليلة الرابعة بعد عشاء الآخرة وجَّه – يعني المعتصم – بُغا إلى إسحاق يأمره بحملي، فأُدخلت على إسحاق فقال لي: يا أحمد إنها واللهِ نفسُك، إنه قد حلف أن لا يقتُلَكَ بالسيف، وأن يضرِبَكَ

(١) وسبب تكفيره إياه أنه إذا كان علم الله مخلوقاً لزم أن يكن بغير علم حتى خلقه، وهذا من أبين الكفر .

ضرباً بعد ضرب، وأن يُلْقِيَكَ في موضع لا ترى فيه الشمسَ، أليس [قد] قال اللّه تعالى: ﴿إنا جعلناهُ قرآناً عربياً﴾(١)، أفيكون مجعولاً إلا مخلوق؟

قال أبي: فقلت: فقد قال اللّه تعالى: ﴿فجعلَهم كعَصْفٍ مأكولٍ﴾(٢) أفخلقهم؟ قال: فقال: اذهبوا به.

قال أبي: فأُنزلتُ إلى شاطىء دجلة فأُحْدِرْت إلى الموضع المعروف بباب البستان ومعي بُغا الكبير ورسول من قبل إسحاق. قال: فقال بُغَا لمحمد المحاربي بالفارسية: ما تريدونَ من هذا الرجل؟ قال: يريدونَ منه أن يقول: القرآنُ مخلوقٌ. فقال: ما أعرفُ شيئاً من هذا إلا قول: لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه وقرابة أمير المؤمنين من النبي صلى اللّه عليه وسلم.

قال أبي: فلما صرنا إلى الشَّطِّ، أُخرجتُ من الزورق، وحُمِلْتُ على دابَّة والأقياد عليَّ وما معي أحد يُمْسِكُني، فجعلت أكاد أخِرُّ على وجهي حتى انتُهِيَ بي إلى الدَّار، فأُدخلت ثم عُرِج بي إلى حُجْرَة فصُيِّرْتُ في بيت منها وأُغلقَ عليَّ البابُ، وأُقْعِدَ عليه رجلٌ، وذلك في جوف الليل، وليس في البيت سراجٌ، فاحتجتُ إلى الوضوء، فمددتُ يدي أطلبُ شيئاً، فإذا بإناء فيه ماء وطَسْت، فتهيَّأتُ للصلاة وقمتُ أصلي، فلما أصبحتُ جاءني الرسول فأخذ بيدي فأدخلني الدار وإذا هو جالسٌ، وابن أبي دُوَادٍ حاضرٌ وقد جمع أصحابه والدارُ غاصَّةٌ بأهلها، فلما دنوتُ منه سلَّمْتُ. فقال لي:

---

(١) سورة الزخرف: آية ٣ .

(٢) سورة الفيل: آية ٥ .

أُدنه أُدنهْ. فلم يزل يُدنيني حتى قربتُ منه ثم قال لي: اجلس،فجلستُ وقد أثقلتني الأقيادُ، فلما مكثَ هنيهةً،قلت: تأذنُ لي في الكلام؟ قال: تكلم. قلت: إلام دعا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه. قال: ثم قلت: إن جدَّكَ ابن عباس حكى أن وفد عبد القَيْس لما قدموا على النبي صلى اللّه عليه وسلم أمرهم بالإيمان باللّه تعالى فقال: «أتدرون ما الإيمانُ؟». قالوا: اللّهُ ورسوله أعلم. قال: «شهادةُ أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه وإقامُ الصلاة وإيتاءُ الزكاة وصومُ رمضان وأن تعطوا الخُمْسَ من المغنم»[1].

حدثنا أبو الفضل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شُعْبَةَ، قال: حدثني أبو جَمْرَةَ[2]، قال: سمعت ابن عباس رضي اللّه عنه قال: إن وفد عبد القَيْس لما قدموا على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أمرهم بالإيمان، فذكر مثل ذلك.

قال أبو الفضل: قال أبي: فقال لي عند ذلك: لولا أني وجدتُك في يد مَن كان قبلي ما عرضتُ لك، ثم التفتَ إلى عبدالرحمن بن إسحاق، فقال له: يا عبدالرحمن ألم آمرك أن ترفعَ المحنة؟

قال أبي: فقلت في نفسي: اللّه أكبر إن هذا لفرجاً للمسلمين، قال: ثم قال: ناظِروه وكلِّموه، ثم قال: يا عبدالرحمن كلِّمْه، فقال لي

(١) حديث صحيح. رواه أحمد (١/٢٢٨)، والبخاري (٥٣)، ومسلم (١٧) عن ابن عباس.

(٢) في الأصل: «أبو حمزة» وهو تصحيف، والصواب ما أثبت، وهو نصر بن عمران بن عصام الضُّبَعي أبو جمرة البصري أحد الأثبات.

عبدالرحمن: ما تقول في القرآن؟ قلت: ما تقولُ في علم اللّه؟ قال: فسكت.

قال أبي: فجعل يكلِّمُني هذا وهذا فأردُّ على هذا [وأكَلِّمُ هذا] ثم أقولُ: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب اللّه أو سُنَّة رسوله أقولُ به، فيقول لي ابن أبي دُوَاد: وأنت لا تقولُ إلا كما في كتاب اللّه أو سنة رسوله؟ قال: فقلت له: تأوَّلت تأويلاً فأنت أعلم وما تأوَّلت ما يُحبَسُ عليه ويُقَيَّدُ عليه. قال: [فيقول ابن أبي دُوَاد]: هو واللّه يا أمير المؤمنين ضالٌّ مُضِلٌّ مبتدعٌ. وهؤلاء قضاتك والفقهاء فسلْهم.

قال: فيقول لهم: ما تقولون فيه؟ فيقولون: يا أمير المؤمنين هو ضالٌّ مُضِلٌّ مبتدعٌ.قال: فلا يزالون يكلِّمونني، قال: وجعل صوتي يعلو على أصواتهم، فقال لي إنسانٌ منهم: قال اللّه تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكرٍ من ربِّهم مُحْدَثٍ﴾(١) فيكون محدَثاً إلا مخلوقاً؟ فقلت له: قال اللّه تعالى: ﴿ص والقُرآنِ ذي الذِّكْرِ﴾(٢) فالذكر هو القرآنُ ويلك أو ليس فيها أَلِفٌ ولام؟ قال: فجعل ابن سماعة لا يفهمُ ما أقول، قال: فجعل يقول لهم: ما يقول؟ قال: فقالوا: إنه يقول كذا وكذا. قال: فقال لي إنسان منهم حديث خبَّاب: «يا هَنَتَاه تقرَّبْ إلى اللّه بما استطعتَ فإنك لن تتقربَ إليه بشيء أحبَّ إليه من كلامه»(٣). قال: فقلت:

---

(١) سورة الأنبياء: آية ٢.

(٢) سورة ص: آية ١.

(٣) أثر صحيح. رواه الآجري في «الشريعة» (ص:٧٧) عن خبَّاب بن الأرت من كلامه.

نعم هكذا هو، قال: فجعل ابن أبي دُوَادِ ينظر إليه ويلحظُه متغيِّظاً عليه.

قال أبي: وقال بعضهم: أليس قال: ﴿خالقُ كلِّ شيءٍ﴾[1]؟ قال: قلت: قد قال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾[2] فدمرت إلا ما أراد اللّه. قال: فقال لي بعضهم: فما تقول وذكر حديث عمران بن حُصَين: «إنَّ اللّه تبارك وتعالى كتب الذِّكْرَ»[3]. فقال: إن اللّه خلق الذِّكْرَ! قال: فقلت: هذا خطأ، حدثنا غير واحد: «كتب الذِّكْرَ».

قال أبي: فكان إذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دُوَاد يتكلم، فلما قارب الزَّوال قال لهم: قوموا ثم حبس عبدالرحمن بن إسحاق، فخلا بي وبعبدالرحمن، فجعل يقول لي: أما تعرف صالحاً الرشيدي كان مُؤَدِّبي وكان في هذا الموضع جالساً – وأشار إلى ناحية من الدار –، قال: فتكلم وذكر القرآن فخالفني، فأمرت به فسحب ووطيء!

قال أبي: ثم جعل يقول لي: ما أعرفك، ألم تكن تأتينا، فقال له عبدالرحمن: يا أمير المؤمنين أعرفه منذ ثلاثين سنةً يرى طاعتَك والحجَّ والجهادَ معك وهو ملازم لمنزله.

قال: فجعل يقول: واللّه إنه لفقيه وإنه لعالم وما يسوؤُني أن يكونَ مثلُه معي يردُّ على أهل الملل، ولئن أجابني إلى شيء له فيه أدنى فرج

(١) سورة الرعد: آية ١٦.

(٢) سورة الأحقاف: آية ٢٥.

(٣) حديث صحيح. رواه البخاري (٦/٢٠٥، ٢٠٧) و (١٣/٣٤٥، ٣٤٧) عن عمران بن حصين، ولفظه فيه: «... وكتب في الذكر كل شيء...».

لأُطْلِقَنَّ عنه بيدي ولأطَأَنَّ عَقِبَهُ ولأركبنَّ إليه بجندي. قال: ثم التفت إليَّ يقول: ويحك يا أحمد ما تقول؟ قال: فأقول: يا أميرَ المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب اللَّه أو سنة رسوله. فلما طال بنا المجلس ضجر فقام فرددت إلى الموضع الذي كنت فيه، ثم وجه إليَّ برجلين سماهما وهما صاحب الشافعي وغسان من أصحاب ابن أبي دُوَادٍ يناظراني فيقيمان معي حتى إذا حضر الإفطار وجَّه إلينا بمائدة عليها طعام فجعلا يأكلان وجعلت أتعلَّلُ حتى تُرفع المائدة، وأقاما إلى غدوة، وفي خلال ذلك يجيء ابن أبي دُوَاد فيقول لي: يا أحمد، يقول لك أمير المؤمنين: ما تقول؟ فأقول له: أعطوني شيئاً من كتاب اللَّه أو سنة رسوله حتى أقول به. فقال لي ابن أبي دُوَاد: واللَّه لقد كتب اسمك في السبعة[1] فمحوتُه ولقد ساءني أخذهم إيَّاك، وإنه واللَّهِ ليس هو السيف، إنه ضرب بعد ضرب ثم تقول لي: ما تقول؟ فأرد عليه نحواً مما رددت عليه، ثم يأتي رسوله فيقول: أين أحمد بن عمار؟ أجب الرجل الذي أنزلت في حجرته، فيذهب ثم يعود فيقول: يقول لك أمير المؤمنين: ما تقول؟ فأرد عليه نحواً مما رددت على ابن أبي دُواد، فلا تزال رسله تأتي أحمد بن عمار وهو يختلف فيما بيني وبينه ويقول: يقول

---

(١) السبعة هم: يحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب، وأحمد بن إبراهيم الدورقي وعبيداللَّه بن عمر القواريري وسعيد بن سليمان الضبي الملقب بسعدويه وأحمد بن حنبل وقيل: خلف المُخَرِّمي.

وفي «المناقب» لابن الجوزي: «خلف المخزومي» وهو خطأ، والصواب ما أثبت وهو خلف بن سالم المُخَرِّمي أبو محمد المهلبي مولاهم البغدادي وكان سندياً، وهو ثقة حافظ صنف المسند، مات سنة ٢٣١.

لك أمير المؤمنين أجِبْني حتى أجيء فأطلقَ عنك بيدي.

قال: فلما كان في اليوم التالي أدخِلْتُ عليه فقال: ناظروه وكلموه. قال: فجعلوا يتكلمون هذا من هاهنا وهذا من هاهنا فأرد على هذا وهذا، فإذا جاءوا بشيء من الكلام مما ليس في كتاب اللّه ولا سنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم ولا فيه خبرٌ ولا أثرٌ، قلت: ما أدري ما هذا. فيقولون: يا أمير المؤمنين إذا توجَّهَتْ له الحُجَّة علينا وثب[1]، وإذا كلمناه بشيء يقول: لا أدري ما هذا. قال: فيقول: ناظروه. قال: ثم يقول: يا أحمد إني عليك شفيق. فقال رجل منهم: أراك تذكرُ الحديث وتنتحِلُه. قال: فقلت له: ما تقول في قول اللّه تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ في أولادِكم للذَّكَرِ مثلُ حظِّ الأنثيين﴾[2]؟ فقال: خص اللّه بها المؤمنين. قال: فقلت له: ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً أو يهودياً أو نصرانياً؟ قال: فسكت.

قال أبي: وإنما احتججت عليه بهذا لأنهم كانوا يحتجُّون عليَّ بظاهر القرآن، وبقوله: أراك تنتحلُ الحديث[3].

وكان إذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دُواد، فيقول: يا أمير المؤمنين واللّه لئن أجابك لهو أحب إليَّ من مئة ألف دينار ومئة ألف دينار، فيعدِّدُ ما شاء من ذلك، ثم أمرهم بعد ذلك بالقيام وخلا بي وبعبد الرحمن،

---

(١) في «الحلية» (٩/٢٠٠)، و«المناقب» لابن الجوزي (ص: ٣٢٤)، و«السير» (١١/٢٤٩): «ثبت» بدلا من «وثب»، ولكل وجه.

(٢) سورة النساء: آية ١١.

(٣) في «السير» (١١/٢٤٩): فحيث قال لي: أراك تنتحل الحديث، احتججت بالقرآن.

فيدور بيننا كلام كثير، وفي خلال ذلك يقول لي: ندعو أحمد بن أبي دُوَاد؟ فأقول: ذلك إليك، فيوجِّهُ إليه فيجيء فيتكلم، فلما طال بنا المجلسُ قام، ورُددتُ إلى الموضع الذي كنت فيه، وجاءني الرجلان اللذان كانا عندي بالأمس، فجعلا يتكلمان فدار بيننا كلام كثير، فلما كان وقت الإفطار جيء بطعام على نحو مما أُتِي به في أول ليلة، فأفطروا، وتعللتُ.

وجعلت رسله تأتي أحمد بن عمار فيمضي إليه فيأتيني برسالة على نحو مما كان أول ليلة، وجاءني ابن أبي دُوَاد فقال: إنه قد حلف أن يضرِبَك ضرباً بعد ضرب وأن يحبسك في موضع لا ترى فيه الشمس!! فقلت له: فما أصنع؟

حتى إذا كدت أن أصبح قلت: لخليق أن يحدث من أمري في هذا اليوم شيء، وقد كنت أخرجتُ تِكَّتي من سراويلي فشددتُ بها الأقياد أحملها بها إذا توجَّهت إليه، فقلت لبعض من كان معي من الموكَّلين: ارتَدْ(1) لي خيطاً، فجاءني بخيط فشددت به الأقياد وأعدت التِّكَّة في سراويلي ولبستها كراهِيَةَ أن يحدثَ شيء من أمري فأتعرى. فلما كان في اليوم الثالث أُدخِلْتُ عليه والقوم حضور، فجعلت أدخل من دار إلى دار وقوم معهم السيوف وقوم معهم السِّياط وغير ذلك من الزِّي والسِّلاح وقد حُشِيتِ(2) الدارُ بالجند، ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء،

(١) في «الحلية» (٩/٢٠١)، و«السير» (١١/٢٥٠): «أريد»، أما في «تاريخ الإسلام» فكما أثبت.

(٢) في الأصل: حشرت، وأثبت ما في «الحلية».

حتى إذا صرت إليه قال: ناظروه وكلموه فعادوا لمثل مناظرتهم، ودار بيننا كلام كثير، حتى إذا كان في الوقت الذي يخلو بي فيه، فجاءني ثم اجتمعوا فشاورهم ثم نحّاهم ودعاني فخلا بي وبعبد الرحمن، فقال لي: ويحك يا أحمد أنا والله عليك شفيق وإني لأشفقُ عليك مثل شفقتي على هارون ابني فأجِبني، فقلت: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فلما ضجر وطال المجلس قال لي: عليك لعنة الله لقد كنتُ طمعتُ فيك.فخذوه واسحبوه. قال: فأُخذتُ وسُحبتُ ثم خلعت، ثم قال: العُقابين[1] والسياطَ فجيء بالعقابين والسياط.

قال أبي: وقد كان صار إليَّ شَعَرة أو شَعَرتان من شَعَر النبي صلى الله عليه وسلم فصَرَرْتُهما في كم قميصي، فنظر إسحاق بن إبراهيم إلى الصُّرَّة في كم قميصي، فوجَّه إلي: ما هذا المصرورُ في كمك؟ فقلت: شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم. وسعى بعض القوم إلى القميص ليخرِقَه في وقت ما أقمتُ بين العقابين فقال لهم: لا تخرقوه انزعوه عنه.

قال أبي: إني ظننت أنه دُرِىءَ عن القميص الخرقُ بسبب الشَّعَر الذي كان فيه.ثم صُيِّرْتُ بين العُقَابين وشُدَّت يداي، وجيء بكرسيٍّ فوضع له[2]، وابن أبي دُوَاد قائم على رأسه، والناس أجمعون قيامٌ ممن حضر، فقال لي إنسان ممن شدَّني: خذ ناتِيءَ[3] الخشبتين بيدك وشدَّ عليهما، فلم أفهم ما

(١) وهما خشبتان يُشدُّ الرجل بينهما للجَلْد. (٢) أي للمعتصم.

(٣) صحفت في «الحلية» (٩/٢٠٢) إلى «أي» وفي الأصل: «بأي»، أما في «تاريخ الإسلام» فهي «ناي»، والتصويب من «السير» (١١/٢٥٠).

قال، فتخلَّعَتْ يداي لما شُدَّت ولم أمسك الخشبتين.

قال أبو الفضل: ولم يزل أبي رحمة اللَّه عليه يتوجَّع منهما إلى أن توفي.

ثم قال للجلادين: تقدموا، فنظر إلى السياط، فقال: ائتوا بغيرها، ثم قال لهم: تقدموا، فقال لأحدهم: ادنه، أوْجِعْ قطع اللَّه يدك. فتقدَّم فضربني سوطين ثم تنحَّى. ثم قال لآخر: ادنه، أوجع، شد قطع اللَّه يدك ثم تقدم فضربني سوطين ثم تنحَّى. فلم يزل يدعو واحداً بعد واحد: يضربني سوطين ويتنحى، ثم قام[1] حتى جاءني وهم مُحدِقون به، فقال: ويحك يا أحمد تقتل نفسك؟ ويحك أجِبني حتى أطلق عنك بيدي.

قال: فجعل بعضهم يقول لي: ويلك إمامك[2] على رأسك قائم. قال: وجعل عُجيفٌ ينخسُني بقائم سيفه ويقول: تريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟ وجعل إسحاق بن إبراهيم يقول: ويحك الخليفة على رأسك قائم. قال: ثم يقول بعضُهم: يا أمير المؤمنين دمُه في عنقي[3].

قال: ثم رجع فجلس على الكرسيِّ ثم قال للجلاد: ادنه، شدَّ قطع اللَّهُ يدَك. ثم لم يزل يدعو بجلاد بعد جلاد فيضربني سوطين ويتنحى وهو يقول: شد قطع اللَّه يدك. ثم قام إلى الثانية فجعل يقول: يا أحمد أجبني

(١) في «السير» (٢٥١/١١): فلما ضربت سبعة عشر سوطاً، قام إليَّ - يعني: المعتصم فقال: يا أحمد علام تقتل نفسك؟

(٢) في «تاريخ الإسلام»: «الخليفة».

(٣) في «تاريخ الإسلام» و «السير» بزيادة: فاقتله.

فجعل عبدالرحمن بن إسحاق يقول: من صنع بنفسه من أصحابك في هذا الأمر ما صنعت؟ هذا يحيى بن معين وهذا أبو خيثمة وابن أبي إسرائيل. وجعل يَعُدُّ عليَّ من أجاب. قال: وجعل هو يقول: ويحك أجِبني. قال: فجعلت أقول نحواً مما كنت أقول لهم. قال: فرجع فجلس ثم جعل يقول للجلاد: شد، قطع الله يدك.

قال أبي: فذهب عقلي وما عقلت إلا وأنا في حجرة مطلق عني الأقياد فقال لي إنسانٌ ممن حضر: إنا كببناك على وجهك وطرحنا على ظهرك بارية ودُسناك! قال أبي: فقلت: ما شعرتُ بذلك.

قال: فجاؤني بسَويق، فقالوا: اشرب. فقلت: لا أفطر. [ثم] جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم.

قال أبي: فنودي بصلاة الظهر، فصلينا الظهر. وقال ابن سماعة: صلَّيتَ والدَّمُ يسيل مِنْ ضَرْبِكَ؟ فقلت: قد صلى عمر وجرحه يثعبُ دماً. فسكت.

ثم خلي عنه فصار إلى المنزل[1]، ووجه إليه برجل ممن يبصر الضرب والجراحات ليعالجَ منها، فنظر إليه فقال لنا: والله لقد رأيت من ضُرِبَ [ألف] سوط ما رأيت ضرباً أشدَّ من هذا، لقد جُرَّ عليه من خلفه ومن قدامه. ثم أدخل ميلاً في بعض تلك الجراحات، وقال: لم يثعب[2]، فجعل

(١) وبعد هذه الجملة في «السير» (٢٥٢/١١): وكان مكثه في السجن منذ أخذ إلى أن ضرب وخلي عنه ثمانية وعشرين شهراً.
(٢) في « السير» (٢٥٧/١١): لم ينقب.

يأتيه ويعالجه، وقد كان أصاب وجهَه غيرُ ضربه ثم مكث يعالجه ما شاء اللّٰه ثم قال: إن ها هنا شيئاً أريد أن أقطعه،فجاء بحديدة فجعل يعلق اللحم بها ويقطعه بسكين معه وهو صابر لذلك يحمد اللّٰه لذلك، فبرأ منه. ولم يزل يتوجَّعُ من مواضعَ منه وكان أثر الضرب بَيِّناً في ظهره إلى أن توفي رحمة اللّٰه عليه.

قال أبو الفضل: سمعت أبي يقول: واللّٰه لقد أعطيتُ المجهود من نفسي، ولوَدِدْتُ أن أنجوَ من هذا الأمر كفافاً لا عليَّ ولا لي.

قال أبو الفضل: أخبرني أحد الرجلين اللذين كانا معه، وقد كان هذا الرجل صاحب حديث قد سمع ونظر ثم جاءني بعد فقال: يا ابن أخي، رحمة اللّٰه على أبي عبداللّٰه واللّٰهِ ما رأيتُ أحداً يشبهُه، قد جعلتُ أقول له في وقت ما يُوَجَّهُ إلينا بالطعام: يا أبا عبداللّٰه أنت صائم وأنت في موضع تَقِيَّة[1]. ولقد عطش فقال لصاحب الشراب: ناولني، فناوله قدحاً فيه ماء وثلج فأخذه ونظر إليه هنيهةً ثم ردَّه عليه. قال: فجعلتُ أعجبُ من صبره على الجوع والعطش وما هو فيه من الهول.

قال أبو الفضل: وقد كنت ألتمسُ وأحتالُ أن أوصلَ إليه طعاماً أو رغيفاً أو رغيفين في هذه الأيام فلم أقدر على ذلك.

وأخبرني رجل حضره قال: تفقَّدته في هذه الأيام وهم يناظرونه

(١) وهي كذلك في «تاريخ الإسلام» و«مناقب الإمام أحمد» (ص: ٤٠٧)، أما في «السير» (٢٥٢/١١) فهي: «تَفِئَة» وفي «الحلية» (٢٠٣/٩): «مسغبة».

ويكلمونه فما لحن [في كلمة][1]، وما ظننت أن يكون أحد في مثل شجاعته وشدة قلبه.

قال أبو الفضل: دخلت على أبي رحمة اللّه عليه يوماً فقلت له: بلغني أن رجلاً جاء إلى فضل الأنماطي فقال: اجعلني في حلٍّ إذ لم أقُمْ بنصرتك فقال فضل: لا جعلت أحداً في حِلٍّ. فتبسم إبي وسكت، فلما كان بعد أيام مررت بهذه الآية ﴿فمن عفا وأصلح فأجرُهُ على اللّه﴾[2] فنظرتُ في تفسيرها فإذا هو ما حدثني به هاشم بن القاسم، قال: حدثنا المبارك. قال: حدثني من سمع الحسن يقول: إذا جثت الأمم بين يدي اللّه يوم القيامة نودوا: ليقم مَنْ أجرُه على اللّه، فلا يقوم إلاَّ من عفا في الدنيا.

قال أبي: فجعلت الميت في حِلٍّ من ضربه إياي، ثم جعل يقول: وما على رجل أن لا يعذب اللّه بسببه أحداً.

---

(١) زيادة من «الحلية» و«المناقب»، و«السير».

(٢) سورة الشورى: آية ٤٠.

بـــاب من قال القرآن مخلوق وأسماء اللّٰه تعالى مخلوقة وما يجب عليه في ذلك من العقوبـة

أخبرنا المخلدي، قال: حدثنا الإسفراييني، قال: حدثنا أبو الفضل، قال: حدثني أبي، قال: سمعت عبدالرحمن بن مهدي، وذكر عنده بشرٌ الـمَرِيسيُّ فقال: من زعم أن اللّٰه تبارك وتعالى لم يكلم موسى فهو كافر يُستتابُ، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه.

حدثنا أبو الفضل قال: حدثني أبي قال: حدثنا سُرَيْج بن النعمان(1) قال: أخبرني عبداللّٰه بن نافع، قال: كان مالك يقول: كلم اللّٰه موسى صلى اللّٰه عليه وسلم. ويقول: القرآن كلام اللّٰه، ويستفظع قول من يقول: القرآن مخلوق، وقال: يُوجَعُ ضرباً ويحبس حتى يتوب.

حدثنا أبو الفضل، قال: حدثني أبي، قال: سمعت إسماعيل بن عُلَيَّة يقول: من قال القرآن مخلوق فهو مبتدع.

وقال أبي: من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، ومن زعم أن أسماءَ اللّٰه مخلوقةٌ فقد كفر، لا يُصَلَّى خلف من قال القرآن مخلوق، فإن صلَّى رجل أعاد.

سمعت صالحاً يقول: قال أبي: بلغني أن إسماعيل بن عُلَيَّةَ دخل على محمد بن هارون وهو على سريرٍ عِلِّيَّةٍ، فلما نظر إليه جعل يزحف على

(1) في الأصل: شريح، وهو خطأ، والصواب ما أثبت وهو سُرَيْج بن النعمان الجوهري أبو الحسن البغدادي. توفي سنة ٢١٧.

سريره ويقول له: يا ابن الفاعلة أنت المتكلمُ في القرآن؟ قال: فجعل إسماعيل يقول: جعلني اللَّه فداك يا أمير المؤمنين، زلّـةٌ من عالم.

قال: أملى علينا أبو العباس عبداللَّه بن محمد بن عمرو بن الجرّاح الأزدي الغَزّيُّ[1]، قال: جاءني إبراهيم بن محمد بن خلف العسقلانيُّ برقعة رَقٍّ بخط محمد بن خلف زعم أنه رأى في المنام كأن ولد آدم كلَّهم في اللَّه غيري، وإذا رب العالمين جل وعز قد برز للخلق في الهواء وموسى ابن عمران عن يمينه، وأنا أقرب الخلق إليه بعد موسى، فقلت له: هو ربكم، فقالوا: إن كان ربّـنا فقل له يجعلِ الشمسَ والقمرَ والكواكبَ في الأرض كهيئتها في السماء، فسَرّنا وأنا أقدم القوم أنه ربنا، فإذا بأحمد يتوضأ على شط نهر وهو واقف على ظهر جادّة عظيمة، وإذا هو ملتحف بطيلسان له قومسيٍّ، فقال للخلق: أين تريدون؟ قالوا: نريد رب العالمين يجعل الشمس والقمر والنجوم كهيئتها في الأرض! فقال أحمد: هو ربكم وليس بفاعلٍ ما تريدون. فرجع الخلق، يقول أحمد: - يعني ابن حنبل -: موقنين أنه ربُّهم.

قال أبو العباس الغزي: كتب أحمد بن حنبل إلى ابن مسهر أن يكتب إليه بهذا الحديث: يعني حديث أم حبيبة: «من مسَّ فرجه فليتوضأ»[2]،

(١) في الأصل: «العربي»، خطأ، والصواب ما أثبت.

(٢) حديث صحيح. رواه ابن ماجه (٤٨١)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٧٥/١) والطبراني (٤٥٠) و (٤٥١)، وابن أبي شيبة (١٦٣/١)، وأبو يعلى (٧١٤٤)، والبيهقي (١٣٠/١) عن أم حبيبة، وقال الترمذي (١٣٠/١): وقال محمد: لم يسمع مكحول من عنبسة. وقال ابن السكن: لا أعلم له علة. وأثبت دحيم سماع مكحول من عنبسة بن أبي =

فقلت لأبي مسهر معي: لا تَبْجَحْ به عنده. فقال لي: كتب إليَّ، اكتب بخطه وأنا الساعة في شُغُل.

حدثنا عباس بن الوليد بن مَزْيَد، قال: حدثنا الحارث بن عيَّاش قال: قلت لأبي مُسْهِر: هل تعلم أن أحداً بقي تأمنُه الأمَّـةُ على أمر دينها؟ قال: لا أعلمه إلاَّ شابٌّ بناحية المشرق.

= سفيان وهو أعلم بحديث الشاميين. ويشهد له حديث بسرة بن صفوان:
رواه أحمد (٤٠٦/٦)، وأبو داود (١٨١)، والترمذي (٨٢)، والنسائي (١٠٠/١) وابن ماجه (٤٧٩) وغيرهم.

بـــاب

التنبيه واتباع الأثر بالقول في القرآن

حدثنا أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل، قال: قال أبي: أسماء الله في القرآن، والقرآن من علم الله وعلم الله ليس بمخلوق، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق على كل وجه وعلى كل جهة وعلى أي حال. فقيل لأبي عبدالله: قوم يقولون: إذا قال الرجل: كلام الله ليس بمخلوق يقولون: مَنْ إمامك في هذا ومن أين قلت ليس بمخلوق؟ قال: الحُجَّة قول الله ﴿فمَنْ حاجَّكَ فيه مِن بعدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلمِ﴾[1] فما جاءه غير القرآن. قال: القرآن من علم الله، وعلم الله ليس بمخلوق، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، ومثل هذا في القرآن كثير. قيل له: يُجزئُ أن أقول هذا قول جهم وعلى كل حال هو كلام الله؟ قال: نعم. قيل له: فأحد من العلماء قال ليس بمخلوق؟ قال: جعفر بن محمد[2].

قال صالح: فحدثني أبي أملاه عليَّ من كتابه، قال: حدثنا موسى بن داود، قال: حدثنا أبو عبدالرحمن معبد، عن معاوية بن عمار الدُّهْني[3]، قال: قلنا لجعفر: إنهم يسألوننا عن القرآن أمخلوق هو؟ قال: ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلامُ الله.

(١) سورة آل عمران: آية ٦١.

(٢) هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٣) في الأصل: «الذهبي»! وهو تصحيف والصواب ما أثبت.

قال أبي: وقد رأيت معبداً، وبلغني أنه كان يُفتي برأي ابن أبي ليلى.

سمعت أبا الفضل يقول: سمعت أبا عبدالله بن جعفر بن عبدالواحد، قال: حدثنا عبدالأحد بن عبدالرحمن، قال: سمعت المعافى، قال: سمعت الأوْزاعيَّ، قال: كان الزُّهْرِيُّ ومكحول يقولان: كلامُ الله غيرُ مخلوق.

قال أبو الفضل: قلت لأبي: من قال لفظي بالقرآن مخلوق يُكَلَّمُ؟ قال: هذا لا يُكَلَّمُ، ولا يُصَلَّى خلفَه وإن صلى رجل أعاد.

قال أبو الفضل: سأل يعقوب بن إبراهيم الدورقي أبي عمن قال: لفظه بالقرآن مخلوق، كيف يقول في هؤلاء؟ قال: لا يكلم هؤلاء ولا يكلم في هذا القرآن كلام الله غير مخلوق على كل جهة وعلى كل وجه وعلى أي حال.

قال صالح: تناهى إليَّ أن أبا طالب يحكي عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فأخبرتُ أبي بذلك فقال: مَنْ أخبرك؟ فقلت: فلان، قال: ابعث إلى أبي طالب، فوجهت إليه فجاء وجاء بوران، فقال له أبي: أنا قلت لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وغضب وجعل يُرْعَدُ. فقال له: قرأت عليك ﴿قل هو الله أحد﴾(١)، فقلت لي: هذا ليس بمخلوق.

قال: قلت: يحكى عن أبي: قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟، وبلغني أنك وضعت ذلك في كتابك فامْحُهُ أشدَّ المحو، واكتب إلى القوم

---

(١) سورة الإخلاص: آية ١.

الذين كتبت إليهم: أني لم أقل لك هذا، وغَضِبَ وأقبل عليه فقال: يحكى عني ما لم أقل لك. فجعل بوران يعتذر إليه وانصرف من عنده وهو مرعوب.

فعاد أبو طالب فذكر أنه قد حكَّ ذلك من كتابه، وأنه كتب إلى القوم يُخبرُهم أنه وهم على أبي عبدالله في الحكاية.

بـــاب

قول الواقفـة في القرآن وما يجب عليهم

أخبرنا المخلديُّ، قال: حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد الإسفراييني، قال أبو الفضل: سمعت أبي يقول: افترقت الجهمية على ثلاث فرق: فرقة قالوا: القرآن مخلوق، وفرقة قالوا: كلام الله ونسكت، وفرقة قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق. قال الله عز وجل في كتابه: ﴿فأَجِرْه حتى يسمعَ كلامَ اللهِ﴾[1] فجبريل سمعه من الله، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريلَ عليه السلام، وسمعه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من النبي، فالقرآن كلام الله غير مخلوق.

قال صالح: قلت لأبي: ولا يكلم من وقف؟ قال: لا يكلم، قلت: كلَّمه رجل؟ قال: يأمره، فإن ترك كلامه كلِّمه وإن لم يترك كلامه فلا تكلمه.

---

(١) سورة التوبة: آية ٦.

باب

من أريد على أن يقول القرآن مخلوق فأجاب إلى هذا والصلاة خلفه وخلف من ارتدَّ

أخبرنا المخلدي، قال: حدثنا عبداللّٰه بن محمد الإسفراييني، قال أبو الفضل: قال أبي: إن امتحن فلا يجيب ولا كراهة، فالمكروه لا يكون عندي إلا أن يقال بضرب أو بتعذيب، فأما المتهدَّد فلا يكون عندي بالتهديد مكرهاً لأن الآية التي قال اللّٰه فيها: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيـمَانِ﴾(١) نزلت في عمَّار وكان عمَّار عُذِّبَ.

قلت لأبي: فإذا اجتمع رجلان أحدهما قد امتُحِن والآخر لم يُمتحن، ثم حضرت الصلاة؟ قال: يتقدَّم الذي لم يمتحن.

وقال أبي: كان سفيان بن عيينة يحدث هذا الحديث ولم أسمعه أنا، عن إسماعيل بن قيس قال: اجتمع الأشعث بن قيس وجرير على جنازة، فقدمه الأشعثُ عليها، وقال الأشعثُ للناس: إني ارتددتُ وإنه لم يرتدَّ، وأعجب أبي هذا الحديث.

قال أبو الفضل: حدثناه علي بن عبداللّٰه عن سفيان بن عيينة.

قال أبو الفضل: وضَرَبَ أبي على حديث كلٍّ من أجاب.

وقال أبو الفضل: قدم ابن رباح يريد البصرة فبلغه أن عبيد اللّٰه

---

(١) سورة النحل: آية ١٠٦.

القواريري شيَّعه، أو سلَّم عليه، فصار القواريريُّ إلى أبي، فلما نظر إليه قال: ألم يكْفِ ما كان منك من الإجابة حتى سلَّمت على ابن رباح؟ وردَّ الباب في وجهه.

وجاءه الحزاميُّ، وقد ذهب ابن أبي دُوَاد، فدقَّ الباب، فلما خرج إليه ورآه أغلق الباب [في وجهه] ودخل.

سمعت صالحاً يقول: قال أبي: لا يشهدْ رجلٌ عند قاضٍ جهمي.

سمعت صالحاً قال: وسُئِل أبي عن الرجل يكون قد أشهد رجلاً على شهادة يدعوه إلى القاضي لِيَشْهدَ له والقاضي جهمي، قال: لا يذهب إليه. قيل له: فإن استعدى عليه فذهب به فامتحن. قال: لا يجيب ولا كرامةَ، يأخذُ كفّاً من تراب يضرب به وجهَه.

بـــاب

الصلاة خلف القَدَري والرافـضي

أخبرنا المخلدي، قال: حدثنا الإسفراييني، قال: سمعت صالحاً يقول: سألت أبي: يصلي الرجل خلف القدري فإذا قال: إن اللَّه لا يعلم ما يعمل العباد حتى يعملوا؟ قال: لا يصلى خلفه.

سمعت صالحاً يقول: قال أبي: لا يُصَلَّى خلف الرافضي إذا كان يتناول أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم.

بـــاب

اتباع الأثر والسنة في تقدمة أبي بكر وعمر رضـوان اللّٰه عليهما

أخبرنا المَخْلَدِيُّ، قال: حدثنا الإسْفَرَايينيُّ، قال: سمعت صالحاً يقول: قلت أبي: أي شيء تذهب في التفضيل؟ قال: إلى حديث ابن عمر، قلت: تذهب إلى حديث سفينة؟ قال: نعم نستعمل الخبرين جميعاً.

حديث سفينة: «الخلافة ثلاثون سنةً»[1] فملك أبو بكر سنتين وشيئاً، وعمر عشراً وعثمان اثنتي عشرة وعلي ستّاً رضوان اللّٰه عليهم.

قلت: فإن قال قائل: لم تثبت خلافة علي، ينبغي لك أن تربع، قال: إنما نتبع ما جاء.

أما قولنا نحن: عليٌّ عندي من الخلفاء الراشدين المهديين، وقد سمى نفسه أمير المؤمنين وأهل بدر متوافرون يسمونه أمير المؤمنين ويحجُّ بالناس ويَقطع ويَرجم.

قلت: فإن قيل: قد يجد الخارجيُّ حين يخرجُ: بئس أميرُ المؤمنين قال: هذا قول سؤ خبيث ردىء. قلت: فيقول: عليٌّ إنما كان خارجياً، قال: بئس القولُ نعوذ باللّٰه من الغُلُوِّ.

---

(١) حديث صحيح. رواه أحمد في «المسند» (٥/٢٢٠، ٢٢١)، وأبو داود (٤٦٤٦) و (٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦)، والحاكم (٣/٧١، ١٤٥) وغيرهم عن سفينة مولى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم.

وسئل وأنا شاهد عمن يقدم عليّاً على عثمان يُبَدَّعُ؟ قال: هذا أهل أن يُبَدَّعَ، أصحاب النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قدَّموا عثمان.

وسئل أبي وأنا شاهد عن الإيمان والإسلام؟ فقال: قال ابن أبي ذئب: الإسلامُ القولُ والإيمانُ العملُ. فقيل له: وما تقول أنت؟ قال: الإسلام غير الإيمان. قال الزُّهْري في حديث عن عامر بن سعد [عن أبيه] حين قال الرجل: يا رسول اللّٰه: إنه مؤمن. فقال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: «أو مسلم»(١).

(١) حديث صحيح. رواه أحمد (١٧٦/١) عن سعد بن أبي وقاص. وانظر ما بعده.

بـــاب

الفرق بين الإيمان والإسلام

أخبرنا المخلدي، قال: حدثنا الإسفراييني، قال: حدثنا صالح، قال: حدثني أبي قال: حدثنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا مَعمر، عن الزُّهْري، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أعطى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم رجالاً ولم يُعطِ رجلاً منهم، فقال سعد: يا نبي اللّٰه أعطيتَ فلاناً وفلاناً ولم تُعطِ فلاناً شيئاً وهو مؤمن، والنبي صلى اللّٰه عليه وسلم يقول له: «أو مسلم» ثم قال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم: «إني لأعطي رجالاً وأدعُ من هو أحبُّ إليَّ منهم فلا أعطيه شيئاً مخافة أن يُكَبُّوا في النار على وجوههم»(١).

قال الزهري: فنرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل.

حدثنا صالح، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو سلمة الـخُزاعي، قال: كان حماد بن زيد يفرق بين الإيمان والإسلام ويجعل الإسلامَ عامّـاً والإيمان خاصّـاً.

قال: وقال أبي: يروى عن أبي جعفر قال: الإيمان مقصود في الإسلام فإذا زنا [المرء] خرج من الإيمان إلى الإسلام.

---

(١) حديث صحيح. وهو الحديث الآنف بتمامه. رواه أحمد (١/١٧٦)، والبخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠) عن سعد بن أبي وقاص.

حدثنا أبي، قال: حدثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق، عن الأوْزاعي قال: قلت للزهري: إن لم يكن مؤمناً فما هو؟ قال: فأنكر ذلك وكره مسألتي عنه.

بـــاب

زيادة الإيمان ونقـصانه

حدثنا المخلدي، قال: حدثنا الإسفراييني، قال: قال أبو الفضل: قال أي: الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص.

حدثنا صالح، قال: وحدثني أبي قال: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: كان سفيان بن سعيد يُنكر أن يقول: أنا مؤمن، وحسن: يعني الزيادة والنقصان، ورآه.

حدثنا أبي قال: حدثنا أبو نُعيم، قال: سمعت سفيان يقول: الإيمان يزيد وينقُصُ.

حدثني أبي، قال: سمعت وكيعاً يقول: الإيمان يزيد وينقص. قال: وكذا كان سفيان يقول.

حدثنا صالح، قال: حدثني أبي، قال: سمعت سفيان بن عُيينة يقول: لا يُعَنَّفُ من قال الإيمان يزيد وينقص.

حدثني أبي، قال: حدثنا إبراهيم بن شمَّاس، قال: سمعت جرير بن عبدالحميد يقول: الإيمان يزيد وينقص.

حدثني أبي قال: حدثني أبو جعفر السُّويدي، عن يحيى بن سُليم، عن هشام، عن الحسن، قال: الإيمان قول وعمل.

بـــاب

القول بالإيمان والعمل به

أخبرنا المخلدي، قال: حدثنا عبدالله الإسفراييني، قال صالح: حدثني أبي، قال: حدثنا عبدالله بن يزيد، قال: حدثنا عبدالله بن لهيعة، عن عبدالله ابن هبيرة السَّبَئِي[1]، عن عبيد بن عمير الليثي، أنه قال: ليس الإيمانُ بالتَّمنِّي، ولكن الإيمان قول بعقل وعمل بفعل.

حدثني أبي، قال: حدثني ابن شماس، قال: وسُئِل فُضَيل بن عِيَاض وأنا أسمع عن الإيمان، فقال: الإيمان عندنا داخله وخارجه الإقرار باللسان والقبول بالقلب والعمل به.

حدثني أبي، قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: الإيمان قول وعمل.

حدثني أبي، قال: حدثنا أبو سلمة الـخُزاعي، قال: قال مالك وشريك وأبو بكر بن عيَّاش وعبدالعزيز بن أبي سلمة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد: الإيمان المعرفة والإقرار العمل.

حدثني أبي، قال: حدثني إبراهيم بن شماس، قال: سمعت ابن المبارك وجَرير بن عبدالحميد ويحيى بن سُلَيْم والنَّضر بن شُمَيْل وبقية بن الوليد، وأبا إسحاق الفَزَاري وإسماعيل بن عيَّاش قالوا: الإيمان قول وعمل.

(١) في الأصل: الشيباني، خطأ، والصواب ما أثبت، وهذه النسبة قد تكتب بالألف هكذا: (السبائي)، وهو من أخطاء الإملاء، والصواب ما أثبت.

بـــاب

ذكر خروج أبي عبدالله في المرة الأولى إلى سامراء وإشخاص المتوكل له

أخبرنا المخلدي، قال: حدثنا عبدالله الإسفراييني، قال: سمعت أبا الفضل يقول: وجَّه المتوكل إلى إسحاق بن إبراهيم يأمُره بحمل أبي إلى العسكر. قال: فوجه إسحاق إلى أبي ، فقال: إن أمير المؤمنين قد كتب إليَّ يأمرني بإشخاصك إليه فتأهبْ لذلك. قال أبي: فقال لي إسحاق بن إبراهيم: اجعلني في حِلٍّ، فقلت: قد جعلتُك وكلَّ من حضر في حِلٍّ.

قال أبي: فقال لي إسحاق: أسألك عن القرآن مسألةَ مسترشد لا مسألةَ امتحان وليكنْ ذلك عندك مستوراً، ما تقول في القرآن؟ قال أبي: فقلت: القرآن كلام الله غير مخلوق. قال: فقل لي من أين قلت غير مخلوق؟ قال أبي: فقلت له: قال الله تبارك وتعالى: ﴿ألا له الخَلْقُ والأمرُ﴾(١) ففرق بين الخلق والأمر. فقال إسحاق: الأمر مخلوق؟ فقال أبي: فقلت له: يا إسحاق إن الله يخلق خلقاً. فقال أبي: فقال لي: وعمَّن تحكى أنه ليس بمخلوق؟ قال: فقلت: جعفر بن محمد قال: ليس بخالق ولا مخلوق. قال: فسكت.

قال أبي: فلما كانت الليلة الثانية وجَّه إليَّ: ما تقول في الخروج؟ قال:

---

(١) سورة الأعراف: آية ٥٤.

فقلت: ذلك إليك، فقال: الذي حكيتَ هو عن محمد بن الحنفية؟ فقلت: لا، حكيتُ عن جعفر بن محمد عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: فسكت.

قال أبو الفضل: ثم أخرج أبي حتى إذا صرنا بموضع يقال له بُصرى[1] بات أبي في مسجد ونحن معه فلما كان جوف الليل جاءه النّيسابوري فقال: يقول لك الأميرُ ارجع. فقلت له: يا أبه أرجو أن يكونَ فيه خيراً. فقال: لم أزلِ الليلة أدعو اللّه.

وكتب المتوكل إلى إسحاق يأمره أن يسأل عن المطبوخ فوجّه إليه إسحاق، فكتب إليه: إنما جاء في الحديث: «ما ذهب ثلثاه وبقي ثُلُثُه».

تم الجزء الأول والحمد للّه وحده

ويتلـوه الجـزء الثاني

(١) قرية تقع شمال بغداد قرب عُكبَرا، وهي غير بُصرى الشام، وانظر «معجم البلدان».

الجزء الثاني

بـــاب

ذكر ورود كتاب المتوكل إلى عبدالله بن إسحاق في سبب العلوي الذي طلبه

أخبرنا الأستاذ الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني رضي الله عنه، قراءة عليه، قدم علينا دمشق في رجب سنة اثنتين وثلاثين وأربع مئة، قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي رضي الله عنه قال: أخبرنا أبو بكر عبدالله الإسفراييني، قال: سمعت أبا الفضل صالح بن أحمد يقول:

لما توفي إسحاق بن إبراهيم ومحمد ابنه ووَلِيَ عبدالله بن إسحاق[١] كتب المتوكل إليه أن وجِّهْ إلى أحمد بن حنبل أن عندك طَلِبَةَ أمير المؤمنين[٢]، فوجه بحاجبه مظفر، وحضر [معه] صاحب البريد، وكان يعرف بابن الكلبي وكتب إليه أيضاً. قال مظفر: يقول لك الأمير قد كتب إليَّ أميرُ المؤمنين أن عندك طلبته، وقال له ابن الكلبي مثل ذلك[٣]، وكان قد نام الناس، فدقَّ الباب، وكان على أبي إزارٌ ففتح لهم الباب، وقعدوا

---

(١) في الأصل: وولى ابنه محمد عبدالله بن إسحاق، خطأ، والصواب ما أثبت.

(٢) إذ رفع الوشاة إلى الخليفة المتوكل: أن عند أحمد علوياً يخفيه في داره وقد ربّصه يريد أن يخرجه ويبايع عليه، وكان الذي دسَّ عليه رجلٌ من أهل البدع وهو ابن الثلجي وهو محمد ابن شجاع.

(٣) هذا السياق يقرر أن مظفراً الحاجب غير صاحب البريد ابن الكلبي بخلاف ما في «السير» (٢٦٧/١١) ففيه: ... وإذا به قاعد في إزار، ومظفر بن الكلبي صاحب الخبر، وجماعة معهم ....

على بابه، ومعهم أشياء فلما قرىء عليه الكتاب قال لهم أبي: ما أعرف هذا وإني لأرى طاعتَه في العُسر واليُسر والـمَنشط والمَكره والأثرة وإني لآسفُ عن تخلُّفي عن الصلاة جماعة وعن حضور الجمعة ودعوة المسلمين.

قال أبو الفضل: وقد كان إسحاق بن إبراهيم وجه إلى أبي: الزم بيتَك ولا تخرج إلى جمعة ولا جماعة وإلاَّ نزل بك ما نزل بك في أيام أبي إسحاق. قال ابن الكلبي: قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلفك ما عندك طلبته، فتحلف؟ قال: إن استحلفتني حلفتُ. فأحلفه باللّه وبالطلاق أن ما عندك طَلِبَةَ أمير المؤمنين، وكأنهم أومأوا إلى أن عنده علوياً. ثم قال له: أريد أن أفتش منزلك.

قال أبو الفضل: وكنت حاضراً، فقال: ومنزل ابنك. فقام مظفر وابن الكلبي وامرأتان معهما فدخلا ففتشا البيت، ثم فتشت المرأتانِ النساءَ [والصبيان].

قال أبو الفضل: ثم دخلوا منزلي [ففتشوه وأدلوا شمعة في البئر فنظروا ووجهوا نسوة] ففتشوا الحريم ثم خرجوا.

فلما كان بعد يومين ورد كتاب علي بن الجهم: إن أمير المؤمنين قد صحَّ عنده براءتُك مما قذفتَ به، وقد كان أهلُ البدع قد مدُّوا أعناقهم فالحمد للّه الذي لم يُشمِّتهم بك، وقد وجه إليك أمير المؤمنين بيعقوب المعروف بقوصرة ومعه جائزة ويأمرك بالخروج، فاللَّهَ اللَّهَ أن تستعفيَ أو تردَّ المال.

بـــاب

ذكر ورود كتاب المتوكل إلى أبي ومعه الجائزة وبإشخاصه إلى العسكر

قال أبو الفضل: ثم ورد من الغد يعقوب قوصرة[١]، فدخل إلى أبي فقال له: يا أبا عبدالله أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: قد صحَّ نقاءُ ساحتك، وقد أحببتُ أن آنسَ بقربك وأتبرَّكَ بدعائك، وقد وجهت إليك عشرة آلاف درهم معونةً على سفرك. وأخرج بَدْرَةَ فيها صرة [نحو مما ذكر] مئتي دينار والباقي دراهم صحاح، فلم ينظر إليها، ثم شدها يعقوب وقال له: أعود غداً حتى أنظر ما تعزم عليه؟ وقال له: يا أبا عبدالله الحمد لله الذي لم يُشمت بك أهل البدع. وانصرف. فجئت بإجَّانة[٢] خضراء أكبها على البَدْرَة[٣]، فلما كان عند المغرب، قال: يا صالح خذ هذه الصرَّة عندك، فصيَّرتها عند رأسي فوق البيت، فملا كان السَّحَر إذا هو ينادي: يا صالح، فقمتُ فصعِدتُ إليه.

فقال: يا صالح، ما نمت ليلتي هذه، فقلت له: يا أبة لم؟ فجعل يبكي. وقال: سلمتُ من هؤلاء حتى إذا كان في آخر عمري بليتُ بهم، وقد عزمتُ على أن تُفرِّقَ هذا الشيء إذا أصبحت. فقلت: ذلك إليك.

(١) في «تاريخ الإسلام» «... ثم ورود يعقوب قَرْقَرَة ومعه العشرة آلاف». ويعقوب هذا من حجبة المتوكل.

(٢) الإجَّانة: المِركن، وهي الإيجانَةُ والإنْجَانَةُ، إناء يغسل فيه الثياب والجمع أجاجين.

(٣) البَدْرَة: كيس فيه ألف، أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار.

فلما أصبح جاءه الحسن بن البزار [والمشايخ] فقال: يا صالح جئني بميزان، فقال: وجِّهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار. ثم قال: وجِّهْ إلى فلان حتى يفرِّقَ في ناحيته، وإلى فلان. فلم يزل حتى فرَّقها كلَّها، ونفض الكيس ونحن في حالة اللّه بها عليم، فجاء بُنيٌّ لي فقال له: يا أبه أعطني درهماً، فنظر إليَّ فأخرجت قطعة أعطيته. فكتب صاحب البريد: إنه تصدَّق بالدراهم من يومه حتى تصدَّق بالكيس. قال علي بن الجهم: فقلت له: يا أمير المؤمنين قد تصدق بها وقد علم الناس أنه قد قبِل منك، ما يصنع أحمد بالمال، وإنما قوتُه رغيفٌ.

قال: فقال لي: صدقت يا عليّ.

بـــاب

مسير أبي عبدالله إلى العسكر

قال أبو الفضل: ثم أخرج أبي رحمه الله ليلاً ومعنا حرّاس معهم النّفّاطات، فملا أصبح وأضاء الفجر قال لي: يا صالح أمعك دراهم؟ قلت: نعم، قال: أعطِهم، فأعطيتهم درهماً درهماً، فلما أصبحنا جعل يعقوب يسير معه، فقال له: يا أبا عبدالله، ابن الثلجي[1] بلغني أنه كان يذكرك، فقال له: يا أبا يوسفَ سلِ اللّهَ العافيةَ. فقال له: يا أبا عبدالله أريد أن أؤديَ عنك رسالة إلى أمير المؤمنين، فسكت. فقال له: إن عبدالله بن إسحاق أخبرني أن الوابِصيّ[2] قال له: إني أشهد عليه أنه قال إن أحمد يعبد ماني[3]!! فقال: يا أبا يوسف يكفي اللّه. فغضب يعقوب فالتفت إلي فقال: ما رأيت أعجبَ مما نحن فيه أسأْلُهُ أن يطلقَ لي كلمة أخبرُ أمير المؤمنين فلا يفعل.

قال أبو الفضل: وقَصَر أبي في خروجه إلى العسكر، وقال: تُقصَرُ

---

(١) هو محمد بن شجاع الثلجي كان ممن يضع الحديث في التشبيه. مات سنة ٢٦٧.

(٢) هو عبدالسلام بن عبدالرحمن بن صخر من ولد الصحابي وابصة بن معبد، مات سنة ٢٤٩. انظر «تاريخ بغداد» (١٤/٥٢-٥٣).

(٣) ماني، ظهر في القرن الثالث الميلادي في بلاد فارس، ومذهبه خليط من البوذية والزرادشتية والنصرانية وكان يعتقد بإلهين اثنين: إله الخير والنور وإله الظلمة والشر، ويبيح نكاح الأخوات والبنات، قتله سابور الثاني، وقد انتشر مذهبه في فارس والهند والصين وغيرها ثم انقرض.

الصلاة في أربعة بُرُد، وهي ستة عشر فرسخاً، فصليت يوماً به العصر، فقال لي: طوَّلت بنا العصر، تقرأ في الركعة مقدار خمسة عشر آية، وكنت أصلي به في العسكر.

قال أبو الفضل: فلما صرنا بين الحائطين قال لنا يعقوب: أقيموا. ثم وجه إلى المتوكل بما عمل، فدخلنا العسكر وأبي منكِّس الرأس ورأسه مُغطَّىً، فقال له يعقوب: اكشف رأسك يا أبا عبداللَّه، فكشفه، ثم جاء وصيف يريد الدار، فلما نظر إلى الناس وجمعِهم قال: ما هؤلاء؟ قالوا: أحمد بن حنبل. فوجه إليه بعدما جاز، فجاء ابن هرثمة فقال: الأمير يقرئك السلام ويقول: الحمد للَّه الذي لم يشمت بك أهل البدع، قد علمت ما كان من حال ابن أبي دُوَاد فينبغي أن تتكلمَ بما يجِبُ للَّه ومضى يحيى.

بـــاب

مقام أبي عبدالله في العسكر

قال أبو الفضل: أنزل أبي دارَ إيتاخ، فجاء علي بن الجهم، فقال: قد أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف مكان التي فرَّقها، وأمر أن لا يعلم شيخُكم بذلك فيغتمَّ، ثم جاءه محمد بن معاوية فقال: إن أمير المؤمنين يُكثرُ ذكرَك ويقول: تُقِيمُ هاهنا تحدث. فقال: أنا ضعيف، ثم وضع إصبعه على بعض أسنانه فقال: إن بعض أسناني يتحرَّك وما أخبرت بذلك ولدي.

ثم وجه إليه فقال: ما تقول في بهيمتين انتطحتا فعقرت إحداهما الأخرى فسقطت فذبحت، فقال: إن كان أطرفَ بعينه ومصعَ بذنبه وسال دمُه يؤكل.

قال أبو الفضل: ثم صار إليه يحيى بن خاقان فقال: يا أبا عبدالله قد أمر أمير المؤمنين أن أصير إليك لتركب إلى أبي عبدالله، ثم قال لي: أمرني أن أقطعَ له سواداً وطَيْلساناً وقَلَنْسُوَةً فأي قَلَنْسُوةٍ يلبَسُ؟ فقلت له: ما رأيتُه لبس قلنسوة قطُّ. فقال له: إن أمير المؤمنين قد أمر أن يصير لك مرتبة في أعلى المراتب ويصير أبو عبدالله في حِجرك، ثم قال: قد أمرني أمير المؤمنين أن يجري عليكم وعلى قراباتك أربعة آلاف درهم تفرقها عليهم، ثم أعاد يحيى من الغد، فقال: يا أبا عبدالله تركب؟ قال: ذاك إليكم، فقال: أستخير اللَّه، فلبس إزاره وخفَّيه، وقد كان خفُّه قد أتى عنده نحو من خمس عشرة سنة وقد رقع برقاع عدة، فأشار يحيى إلى أن يلبَسَ القَلَنْسُوة، فقال: كيف

يدخل عليه حاسراً؟ ويحيى قائم، فطلبنا له دابة يركبها، فقام يحيى يصلي، فجلس على التُّراب وقال: ﴿منها خلقناكم وفيها نُعيدُكم﴾[1]، ثم ركب بغل بعض التجار فمضينا معه حتى أدخل دارَ المعتز، وأجلس في بيت الدِّهليز، ثم جاء يحيى فأخذ بيده حتى أدخله ورفع لنا الستر ونحن ننظر.

وكان المعتز قاعداً على دكان[2] في الدار، وكان قد تقدم يحيى إليه فقال: لا تمدَّ يدَك إليه، فلما صعد الدكانَ قعد، فقال له يحيى: يا أبا عبداللَّه إن أمير المؤمنين جاء ليأنسَ بقربك، يصير أبا عبداللَّه في حجرك. فأخبرني بعض الخدم أن المتوكل كان قاعداً وراء ستر، فلما دخل الدار قال لأمه: يا أمَّـاهُ قد أنارتِ الدارُ.

ثم جاء خادم بمناديلَ فأخذ يحيى المنديلَ، وأخرج منه مُبَطَّنَة فيها قميص، فأدخل يده في جيب القميص والمبطنة ثم أخذ بيد أبي فأقامه، ثم أدخل القميص والمبطنة في رأسه، ثم أدخل يده اليمنى وكذلك اليسار وهو لا يحرِّك يده، ثم أخذ قَلَنْسُوَةً فوضعها على رأسه، وألبسه طيلساناً ولحفه به، ولم يجيئوا بخفٍّ فبقي الخفُّ عليه، ثم انصرف، وكانوا قد تحدثوا أنه لا يخلع عليه السواد، فلما صار إلى الدار نزع الثياب عنه ثم جعل يبكي ثم قال: سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة حتى إذا كان آخر عمري بُليتُ بهم، ما أحسبني سلمتُ من دخولي على هذا الغلام فكيف بمن يجب عَليَّ

(١) سورة طه: آية ٥٥.

(٢) في «السير» (١١/٢٧٥): «على مصطبة».

نصحُه من وقت أن تقعَ عيني عليه إلى أن أخرجَ من عنده، ثم قال: يا صالح، وجِّه بهذه الثياب إلى بغداد تُباعُ ويُتصدَّقُ بثمنها ولا يشتري أحد منكم منها شيئاً.

قال أبو الفضل: فوجهت بها إلى يعقوب بن بُخْتان(١)، فباعها وفرَّق ثمنَها وبقيتْ عندي القلنسوةُ. ثم أخبرناه أن الدار التي هو فيها [كانت] لإيتاخ(٢)، فقال: اكتب رقعة إلى محمد بن الجراح لتعفي لي من هذه الدار. فكتبنا رقعة، فأمر المتوكل أن يعفى منها، ووجه إلى قوم ليخرجوا من منازلهم، فسأل أن يعفى من ذلك، واكتُريتْ له دارٌ بمئتي درهم فصار إليها، وأجرى علينا مائدة وثلج وضرب الخَيش، فلما رأى الخَيش والطبري نحى نفسه عن ذلك الموضع، وألقى نفسه على مضربة له واشتكتْ عينُه وبِرئتْ. قال: ألا تعجب؟ كانت عيني تشتكي فتمكث حيناً حتى تبرأ، ثم قد برئت بسرعة.

وجعل يواصل يفطر في كل ثلاث على تمر وسَوِيق؛ فمكث بذلك خمس عشرة يفطر في كل ثلاث. ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلة وليلة لا يفطرُ إلاَّ على رغيف، وكان إذا جيء بالمائدة توضع في الدهليز لكي لا يراها، فيأكل من حضر، وكان إذا أجهده الحرُّ بلَّ خرقة فيضعُها على

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن بُختان من أصحاب الإمام أحمد، كان أحد الصالحين الثقات. انظر «طبقات الحنابلة» (ص: ٢٧٦)، و «تاريخ بغداد» (١٤/٢٨٠).

(٢) في «الحلية» (٩/٢١٠): «لأيتام» خطأ. صوابه إيتاخ كما أثبت وهو من الأتراك من قواد المعتصم.

صدره، وفي كل يوم يُوَجِّه المتوكل إليه بابن ماسويه فينظر إليه ويقول له: يا أبا عبداللَّه أنا أميل إليك وإلى أصحابك، وما بك علة إلا الضعف وقلة الرِّز[1].

وقال له ابن ماسويه: إنا أمرنا عُبَّادَنا بأكل دُهن الخل فإنه يُلينُ وجعل يجيئُه بالشيء ليشربه، فيصبُّه.

وقطع له يحيى درَّاعة وطيلساناً أسود.

وجعل يعقوب وعتاب[2] يخبرانه بما يحدث من أمر ابن أبي داود في كل يوم، ثم انحدر ابن أبي دُوَاد إلى بغداد، فأشهد عليه ببيع ضياعه، وكان ربما صار إليه يحيى بن خاقان وهو يصلي فيجلس في الدهليز حتى يفرغ، ويجيء علي بن الجهم فينزع سيفَه وقلنسوتَه ويدخل عليه. وأمر المتوكل أن يشتري لنا داراً، فقال: يا صالح، قلت: لبيك، لئن أقررتَ لهم بشراء دارٍ لَتكُونَنَّ القطيعةُ بيني وبينكم، إنما تريدون أن تصيِّروا هذا البلد لي مأوىً ومسكناً.

فلم يزل يدفع شراء الدار حتى اندفع، وصار إليَّ صاحب المنزل فقال: أعطيك كلَّ شهر ثلاثة آلاف مكانَ المائدة؟ فقلت: لا أفعل.

---

(١) في الأصل: «وقلة الدد»، وفي «الحلية» (٩/٢١٠): «وقلة البر»، والصواب ما في «المناقب» لابن الجوزي (ص: ٣٦٦)، و «السير» (١١/٢٧٥): الرِّز، بكسر الراء، وهو غمز الحَدث وحركته في البطن للخروج حتى يحتاج صاحبه إلى دخول الخلاء.

(٢) في «السير» (١١/٢٧٦): «وغياث».

وجعلت رسل المتوكل تأتيه يسألونه عن خبره فيصيرون إليه ويقولون له: هو ضعيف، وفي خلال ذلك يقولون: يا أبا عبداللَّه، لابد من أن يراك، فيسكُتُ، فإذا خرجوا قال: ألا تعجب من قوله: لابد من أن يراك؟! وما عليهم من أن يراني؟.

وكان في هذه الدار حجرة صغيرة فيها بيتان، فقال: أدخِلوني تلك الحُجرة ولا تُسرجوا سراجاً، فأدخلناه إليها، فجاءه يعقوب فقال: يا أبا عبداللَّه، أمير المؤمنين مشتاقٌ إليك ويقول: انظر إلى اليوم الذي تصيرُ إليه فيه أي يوم هو حتى أعرفَـه، فقال: ذاك إليكم، فقال: يوم الأربعاء يوم خالٍ. وخرج يعقوب.

فلما كان من الغد جاء فقال: البشرى يا أبا عبداللَّه أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: قد أعفيتُك من لُبس السَّواد والرُّكوب إلى والي ولاة العهود وإلى الدار، فإن شئت فالبس القطن وإن شئت فالبس الصوف. فجعل يحمد اللَّه على ذلك.

وقال له يعقوب: إن لي ابناً وأنا به معجبٌ وله في قلبي موقعٌ، فأحب أن تحدثه بأحاديث.فسكتَ، فلما خرج قال: أتراه لا يرى ما أنا فيه؟

قال أبو الفضل: كان أبي يختم من جمعة إلى جمعة، فإذا ختم دعا فيدعو ونؤمن على دعائه، فلما كان غداة الجمعة وجه إليَّ وإلى أخي عبداللَّه، فلما أن ختم جعل يدعو ونؤمن على دعائه، فلما فرغ جعل يقول: أستخير اللَّه مراراً، فجعلتُ أقولُ: ما تريدُ؟ ثم قال: إني أُعطي للَّه عهداً، إن

العهد كان مسئولاً، وقد قال الله عز وجل: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا أوْفوا بالعُقودِ﴾(١) أنِّي لا أُحَدِّث حديثاً تاماً أبداً حتى ألقى الله ولا أستثني منكم أحداً. فخرجنا وجاء علي بن الجهم فقلنا له، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فأخبر المتوكل بذلك.

وقال: إنما يريدون أن أحدث فيكون هذا البلد حبسي، وإنما كان سبب الذين أقاموا بهذا البلد لما أعطوا فقبلوا وأمروا فحدثوا، وكان يخيِّرونه فيتوجَّعُ لذلك، وجعل يقول: والله لقد تمنَّيتُ الموت في الأمر الذي كان وإني لأتمنى الموت في هذا وذاك، إن هذه فتنة الدنيا وكان ذاك فتنة الدين، ثم جعل يضمُّ أصابعَ يده ويقول: لو كانت نفسي في يدي لأرسلتُها، ثم يفتحُ أصابعه.

وكان المتوكل يوجه إليه في كل وقت يسأل عن حاله، وكان في خلال ذلك يأمر لنا بالمال فيقول: يوصل إليهم ولا يُعلمُ شيخُهم فيغتمَّ، ما يريد منهم؟ إن كان هؤلاء يريدون الدنيا فما يمنعهم؟

وقالوا للمتوكل: إنه كان لا يأكل من طعامك ولا يجلس على فراشك ويحرم الذي تشرب، فقال لهم: لو نُشِرَ لي المعتصم لم أقبل منه.

---

(١) سورة المائدة: آية ١.

بـــاب

خطاب أبي عبدالله إليَّ بعَدَم الخروج إليه

قال أبو الفضل: ثم إني انحدرت إلى بغداد وخلفت عبدالله عنده فإذا عبدالله قد قدم وجاء بثيابي التي كانت عنده، فقلت: ما جاء بك؟ قال: قال لي انحدر وقل لصالح: لا تخرج فأنتم كنتم آفتي، والله لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما أخرجتُ منكم واحداً معي لولا مكانُكم، لمن كان تُوضعُ هذه المائدة؟ ولمن كان يُفرشُ هذا الفرش، وتُجْرَى هذه الأجْراء(١).

قال أبو الفضل: فكتبت إليه أعلمه بما قال لي عبد الله، فكتب إليَّ بخطِّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أحسَنَ اللـهُ عاقبتَك ودفع عنك كلَّ مكروه ومحذور، الذي حملني على الكتاب إليك والذي قلت لعبدالله: لا يأتيني أحد، وربما ينقطع ذكري ويخملُ فإنكم إذا كنتم هاهنا فشا ذكري وكان يجتمع إليك قوم ينقلون أخبارَنا، ولم يكن إلا خيراً، واعلم يا بني إنْ أقمت فلا تأتِ أنت ولا أخوك فهو رضائي فلا تجعلْ في نفسك إلاَّ خيراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال أبو الفضل: ثم ورد كتاب آخر يذكر فيه:

---

(١) في «المناقب» (ص: ٣٦٩): «هذا الشيء»، وفي «تاريخ الإسلام»: «الأمراء»، وهو تحريف.

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

أحسن اللَّه عاقبتَك ودفع عنك السوءَ برحمته، كتابي إليك وأنا في نعمة من اللَّه متظاهرة أسأله إتمامَها والعونَ على أداء شكرِها، قد انفكت عنها عقدة، إنما كان حبس مَنْ ها هنا لما أُعطوا فقبلوا وأُجرى عليهم فصاروا في الحد الذي صاروا إليه، وحدثوا ودخلوا عليهم، فهذه كانت قيودهم، فنسأل اللَّه أنْ يعيذَنا من شرِّهم ويخلِّصَنا، فقد كان ينبغي لكم لو قربتموني[1] بأموالكم وأهاليكم فهان ذلك عليكم للذي أنا فيه، فلا يكبر عليك ما أكتب به إليكم، فالزموا بيوتَكم فلعل اللَّه تعالى أن يخلِّصَني، والسلام عليكم ورحمة اللَّه.

ثم ورد غير كتاب إليَّ بخطه بنحو من هذا، فلما خرجنا من العسكر، رفعت المائدة والفرش وكل ما كان أقيم لنا.

(١) في «المناقب» (ص: ٢٧٠): «لو فديتموني».

بـــاب

وصية أبي عبدالله رحمه الله

قال أبو الفضل: وأوصى وصيته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل:

أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهرَه على الدين كلِّه ولو كره المشركون. وأوصى مَنْ أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين ويحمدوه في الحامدين وأن ينصحوا لجماعة المسلمين. وأوصي أني قد رضيتُ بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيّاً. وأوصي أن لعبدالله بن محمد، المعروف ببوران عليَّ نحو من خمسين ديناراً وهو مصدَّق فيما قال، فَيُقضى ماله عليَّ من غلَّة الدار إن شاء الله، فإذا استوفى أعطى ولدي: صالح وعبدالله ابنا أحمد بن محمد بن حنبل كُلَّ ذكر وأنثى عشرة دراهم بعد وفاء ما عليَّ لابن محمد.

شهد

أبو يوسف وصالح وعبدالله ابنا أحمد بن محمد بن حنبل.

بـــاب

ذكر إذن أمير المؤمنين لأبي عبدالله رحمه الله بالعودة

قال أبو الفضل: ثم سأل أبي أن يُحَوَّلَ من الدار التي اكتريت له، فاكترى هو داراً وتحوَّل إليها، فسأل المتوكل عنه فقيل: إنه عليل، فقال: كنت أحب أن يكون في قربي وقد أذِنتُ له، يا عبيدالله أحمل إليه ألف دينار ينفقها، وقال لسعيد: تهيىء له حراقة[1] ينحدر فيها. فجاءه علي بن الجهم في جوف الليل فأخبره، ثم جاء عبيدالله ومعه ألف دينار، فقال: إن أمير المؤمنين قد أذن لك وقد أمر لك بهذه الألف دينار. فقال: قد أعفاني أمير المؤمنين لما أكره، فردها وقال: أنا رقيق على البرد والبر أرفق بي[2].

فكتب إلى محمد بن عبدالله في بره وتعاهده.

---

(١) الحراقة: نوع من السفن الصغيرة.

(٢) في «الحلية» (٩/٢١٣): «أنا رقيق على البرد والطهر أرفق بي». وفي «السير» (١١/٢٧٨): «والظهر».

بـــاب

ذكر ما جرى بين أبي وبيني وعبدالله وعمه حين قبلنا صلة السلطان

فقدم علينا فيما بين الظهر والعصر، فلما انحدر إلى بغداد ومكث قليلاً قال لي: يا صالح، قلت: لبيك، قال: أحبُّ أن تدعَ هذا الرزق فلا تأخذه ولا توكِّل فيه أحداً فقد علمت أنكم إنما تأخذونه بِسَبَبي، فسكَتُّ فقال: ما لك؟ فقلت: أكره أن أعطيَك شيئاً بلساني وأخالفَ إلى غيره فأكونَ قد كذبتك ونافقتك وليس في القوم أكثر عيالاً مني ولا أعذر، وقد كنت أشكو إليك فتقول: أمرك منعقد بأمري، ولعل الله أن يحل عني هذه العقدة، ثم قلت له: وقد كنت تدعو لي فأرجو أن يكون الله قد استجاب لك، قال: ولا تفعل؟ قلت: لا. قال: قم فعل الله بك وفعل فأمر بسدِّ الباب بيني وبينه.

فتلقاني عبد الله فسألني فأخبرتُه، فقال: ما أقول؟ قلت: ذاك إليك. فقال له مثلما قال لي. فقال: لا أفعل. فكان منه إليه نحوُ ما كان منه إليَّ. فلقينا عمه فقال: لو أردتم أن تقولوا له وما عِلمُه إذا أخذتم شيئاً؟ فدَخل عليه فقال: يا أبا عبدالله لست آخُذُ شيئاً من هذا فقال: الحمد لله. وهجرنا وسدَّ الأبواب بيننا وبينه، وتحامى منزِلَنا أن يدخلَ منه إلى منزله شيءٌ.

قال أبو الفضل: فلما مضى نحوٌ من شهرين كتب لنا بشيء فجيء به إلينا، فأوَّلُ من جاء عمُّه فأخذ فأخبر، فجاء إلى الباب الذي كان سدَّه بيني

وبينه، وقد كان فتح الصبيانُ كُوَّةً، فقال: ادعو لي صالحاً، فجاء الرسول وقلت له: لست أجيء، فوجه إليَّ: لم لا تجيء؟ فقلت: قل له هذا الرزق يرتزقه جماعة كثيرة وإنما أنا واحد منهم وليس فيهم أعذرُ مني، وإذا كان توبيخٌ خُصِصْتُ به أنا، فمضى فلما نادى عمه بالأذان خرج. فلما خرج قيل لي: إنه قد خرج إلى المسجد، فجئت حتى صرتُ في موضع أسمع فيه كلامه، فلما فَرَغَ من الصلاة التفت إلى عمه ثم قال له: نافقتَني وكذبتَني وكان غيرُك أعذرَ منك، زعمت أنك لا تأخذ من هذا شيئاً ثم أخذته، وأنت تستغلُّ مئتي درهم، وعمدت إلى طريق المسلمين تستغلُّه، إنما أنا أُشفق عليك أن تُطَوَّقَهَ يوم القيامة بسبع أرَضِين، أخذت هذا الشيء بغير حقه. فقال: قد تصدقت! قال: تصدقت بنصف درهم؟!

ثم هجره وترك الصلاة في المسجد، وخرج إلى مسجد خارج[1] يصلي فيه.

قال صالح: وحدثني أبي، قال: حدثنا عبدالله بن محمد، قال: سمعت شيخنا يحدث، قال: استعمل بعض أمراء البصرة عبدالله بن محمد ابن واسع على الشرطة فأتاه محمد بن واسع فقيل للأمير: محمد بالباب، فقال للقوم: ظُنُّوا به، فقال بعضهم: جاء يشكر للأمير استعمل ابنَه فقال: لا، ولكنه جاء يطلب لابنه الإعفاء، أو قال: العافية. قال: فأذن له، فلما دخل قال: أيها الأمير: بلغني أنك استعملتَ ابني وإني أحب أن تسترَنا

(١) في «السير» (١١/٢٧٩): «مسجد آخر...».

يسترُك اللّـهُ. قال: قد أعفيناه يا أبا عبداللّه.

قال أبو الفضل: ثم كتب لنا بشيء فبلغه، فجاء إلى الكُوَّة التي في الباب، فقال: يا صالح انظر ما كان للحسن علي فاذهب به إلى بوران حتى يتصدق به في الموضع الذي أخذ منه، فقلت: وما علم بوران من أي موضع أخذ هذا؟ فقال: افعل ما أقول لك، فوجهت بما كان أصابهما إلى بوران.

وكان إذا بلغه أنا قبضنا شيئاً طوى تلك الليلة فلم يفطر. ثم مكث أشهراً لا أدخل إليه، ثم فتح الصبيان الباب ودخلوا غير أنه لا يدخلُ إليه من منزلي شيء، ثم وجهت إليه: يا أبتِ قد طال هذا الأمرُ وقد اشتقتُ إليك فسكت، فدخلت فأكببتُ عليه وقلت له: يا أبتِ تُدخِلُ على نفسك هذا الغمَّ؟ فقال: يا بني يأتيني ما لا أملكه.

ثم مكثنا مدة لم نأخذ شيئاً، ثم كُتِبَ لنا بشيء فقبضناها، فلما بلغه هَجَرنا أشهراً، فكلمه بوران، ووجه إليَّ بوران فدخلت فقال له: يا أبا عبداللّه صالح يرضيك للّه. فقال: يا أبا محمد واللّه لقد كان أعزَّ الخلق عليَّ، وأي شيء أردت له ما أردت له إلا ما أردت لنفسي. فقلت له: يا أبتِ ومن رأيتَ أنت أو من لقيتَ قَوِيَ ما قويتَ أنت عليه؟ فقال: وتحتجُّ عليَّ؟

قال أبو الفضل: ثم كتب أبي رحمه اللّه إلى يحيى بن خاقان يسأله ويعزم عليه أن لا يُعينَنا على شيء من أرزاقنا ولا يتكلم فيه. فبلغني فوجهت إلى القيِّم لنا وهو ابن غالب بن بنت معاوية بن عمرو. وقد كنت قلت له: يا أبتِ إنه يكبر عليك، وقد عزمت إذا حدث أمر أخبرتُك به. فلما وصل

رسوله بالكتاب إلى يحيى أخذه من صاحب الخبر. قال: فأخذت نسخته ووصلت إلى المتوكل، فقال لعبدالله: كم من شهر لولد أحمد بن حنبل؟ فقال: عشرة أشهر. قال: تُحْمَلُ الساعة إليهم أربعون ألف درهم من بيت المال صِحاحاً ولا يَعلمُ بها. فقال يحيى للقيِّم: أنا أكتب إلى صالح وأعلمه. فورد عليَّ كتابه فوجهت إلى أبي أعلمه. فقال الذي أخبره: إنه سكت قليلاً، وضرب بذقنه ساعة ثم رفع رأسَه فقال: ما حيلتي إذا أردت أمراً وأراد الله أمراً.

قال أبو الفضل: وجاء رسول المتوكل إلى أبي يقول: لو سلم أحد من الناس سلمت، رفع إليَّ رجلٌ وقت كذا أن علويّاً قدم من خراسان وأنك وجَّهْتَ إليه بمن يلقاه، وقد حبستُ الرجلَ وأردتُ ضربَه وكرهتُ أن تغتمَّ فمُرْ فيه. فقال: هذا باطل، تخلي سبيله.

قال: وكان رسول المتوكل يأتي أبي يبلغه السلام ويسأله عن حاله فنُسَرُّ نحن بذلك، فتأخذه نَفْضَةٌ[1] حتى نُدَثِّرَهُ، ويقول: والله لو أن نفسي في يدي لأرسلْتُها، ويضم أصابعه ويفتحُها.

---

(١) في «السير» (٢٧٩/١١): «قُشَعْرِيرَةٌ».

بـــاب

ذكر ما ورد من سؤال أمير المؤمنين المتوكل لأبي عبدالله في أمر القرآن

قال أبو الفضل: كتب عبيدالله بن يحيى إلى أبي يخبره أن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك كتاباً أسألك من أمر القرآن لا مسألة امتحان، ولكن مسألة معرفة وتبصِرةٍ، فأملى عليَّ أبي رحمه الله إلى عبيدالله بن يحيى، وحدي ما معنا أحد:

بسم الله الرحمن الرحيم

أحسن اللّـهُ عاقبتَك أبا الحسن في الأمور كلِّها ودفع عنك مكارهَ الدنيا برحمته.

قد كتبت إليك رضي الله عنك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن بما حضرني، وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمين، قد كان الناس في خوضٍ من الباطل واختلافٍ شديدٍ يغتمسون فيه، حتى أفضتِ الخلافةُ إلى أمير المؤمنين، فنفى الله بأمير المؤمنين كلَّ بدعة وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المجالس[1]، فصرف الله ذلك كلّه وذهب به بأمير المؤمنين، ووقع ذلك من المسلمين موقعاً عظيماً ودعوا الله لأمير المؤمنين، وأسأل الله أن يستجيبَ في أمير المؤمنين صالحَ الدعاء وأن يتمَّ

---

(١) كذا في «الأصل» و «الحلية» (٩/٢١٦)، أما في «المناقب» (ص: ٣٧٨) و «السير» (١١/٢٨١): فهي «المحابس».

ذلك لأمير المؤمنين وأن يزيدَ في بيته ويعينَه على ما هو عليه.

فقد ذكر عن عبدالله بن عباس أنه قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فإن ذلك يوقع الشكّ في قلوبكم.

وذكر عن عبدالله بن عمرو: أن نفراً[1] كانوا جلوساً بباب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: ألم يقلِ اللهُ كذا؟ وقال بعضهم: ألم يقلِ اللهُ كذا؟ قال: فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج كأنما فُقِيء في وجهه حبُّ الرُّمّان وقال: «أبهذا أُمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ضلَّتِ الأممُ قبلكم في مثل هذا إنكم لستم مما هنا في شيء، انظروا الذي أُمرتم به فاعملوا به وانظروا الذي نُهيتم عنه فانتهوا عنه»[2].

وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مراء في القرآن كفر»[3].

وروي عن أبي جُهيم -رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تُمَاروا في القرآن فإنَّ مِراءً

---

(١) في الأصل: «فقراء»، والصواب: «نفراً»، وهو كذلك في «المناقب» لابن الجوزي (ص: ٣٧٨)، و «السير» (١١/٢٨٢).

(٢) حديث حسن. رواه أحمد في «المسند» (٢/١١٨، ١٩٥، ١٩٦)، وابن ماجه (٨٥) عن عبدالله بن عمرو.

(٣) حديث صحيح. رواه أحمد في «المسند» (٢/٢٨٦، ٣٠٠، ٤٢٤، ٤٧٥، ٥٠٣، ٥٢٨)، وأبو داود (٤٦٠٣)، والحاكم (٢/٢٢٣) عن أبي هريرة.

فيه كفرٌ»[1].

وقال عبدالله بن عباس: قدم على عمر بن الخطاب رجلٌ فجعل عمر يسأل عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، فقال ابن عباس: فقلت: واللهِ ما أُحِبُّ أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعةَ. قال: فنهرني عمر وقال: مَهْ. فانطلقت إلى منزلي مكتئباً حزيناً فبينا أنا كذلك، إذ أتاني رجل فقال: أجب أمير المؤمنين، فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني، فأخذ بيدي فخلا بي، وقال: ما الذي كرهتَ مما قال الرجلُ آنفاً؟ فقلت: يا أمير المؤمنين متى ما يتسارعوا هذه المسارعة يَحْتَقُّوا ومتى ما يَحْتَقُّوا يختصموا ومتى ما يختصموا يختلفوا ومتى ما يختلفوا يقتتلوا. قال: للّه أبوك والله إن كنتُ لأُكتُمها الناسَ حتى جئتَ بها.

وروى عن جابر بن عبدالله قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «هل من رجلٍ يحملُني إلى قومه فإن قريشاً قد منعوني أن أبلِّـغَ كلامَ ربي»[2].

وروي عن جبير بن نفير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكم لن ترجِعوا بشيء أفضلَ مما خرج منه»[3]. يعني القرآن.

---

(١) حديث صحيح. رواه أحمد في «المسند» (١٧٠/٤) عن أبي جهيم.
وفي الباب عن أبي هريرة وعمرو بن العاص.

(٢) حديث صحيح. رواه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٦)، وابن ماجه (٢٠١) عن جابر.

(٣) ضعيف. رواه الترمذي (٢٩١٢) عن جُبَير بن نُفَير مرسلاً.

وروي عن عبدالله بن مسعود أنه قال: جرِّدوا القرآن لا تكتبوا شيئاً فيه إلا كلام الله عز وجل.

وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال: هذا القرآن كلام الله فضعوه موضِعَه.

وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد إني إذا قرأت كتاب الله وتدبرته كدت أن أيأسَ وينقطعَ رجائي، قال: فقال الحسن: إن القرآن كلام الله وأعمال ابن آدم إلى الضعف والتقصير فاعمل وأبشِرْ.

وقال فروةُ بن نوفل الأشجعي: كنت جاراً لَخبَّاب وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت معه يوماً إلى المسجد وهو آخذ بيدي فقال: يا هَنَـاه تقرَّب إلى الله بما استطعتَ فإنَّك لن تتقرَّبَ إليه بشيء أحبَّ إليه من كلامه[1].

وقال رجل للحكم بن عتيبة: ما حملَ أهلَ الأهواء على هذا؟ قال: الخصومات.

وقال معاوية بن قُرَّة، وكان أبوه ممن أتى النبي صلى الله عليه وسلم: إيَّاكم وهذه الخصوماتِ فإنها تُحبطُ الأعمال.

وقال أبو قِلاَبَة، وكان قد أدرك غير واحدٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، أو قال: أصحاب

(١) تقدم تخريجه، وهو أثر صحيح.

الخصومات، فإني لا آمَنُ أن يغمسوكم في ضلالتهم ويَلبسوا عليكم بعضَ ما تعرفون.

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدِّثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأُ عليك آيةً من كتاب اللَّه؟ قال: لا لتقومان عني أو لأقومَنَّهْ عنكما. قال: فقام الرجلان فخرجا. فقال بعض القوم: يا أبا بكر وما عليك أن يقرأ عليك آية من كتاب اللَّه تعالى؟ فقال له ابن سيرين: إني خشيت أن يقرآا عليَّ آية فيُحَرِّفانِها فيقرُّ ذلك في قلبي.

وقال محمد: لو أعلم أني أكون مبتلىً الساعة لتركتها.

وقال رجل من أهل البدع لأيوب السَّخْتِياني: يا أبا بكر أسألك عن كلمة؟ فولَّى وهو يقول بيده: ولا نصف كلمة.

وقال ابن طاوس لابن له يكلِّمُه رجل من أهل البدع: يا بني أدْخِلْ إصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع ما يقول، ثم قال: اشدُد.

وقال عمر بن عبدالعزيز: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل.

وقال إبراهيم النَّخَعي: إن القوم لم يُدَّخَرْ عنهم شيء خُبِّيءَ لكم لفضل عندكم.

وكان الحسن رحمه اللَّه يقول: شر داء خالط قلباً، يعني الأهواء.

وقال حُذيفة بن اليمان، وكان من أصحاب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: اتقوا اللّٰه معشر القراء وخذوا طريقَ من كان قبلَكم واللّٰه لئن استقمتُم لقد سبقتُم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً، أو قال: مبيناً.

قال أبي رحمه اللّٰه: وإنما تركت ذكر الأسانيد لما تقدم من اليمين التي حلفت بها مما قد علمه أمير المؤمنين، لولا ذلك لذكرتها بأسانيدها. وقد قال اللّٰه تعالى: ﴿وإن أحدٌ من المشركينَ استجارَك فأجِرْهُ حتى يسمعَ كلامَ اللّٰهِ﴾(1). وقال: ﴿ألا له الخلقُ والأمرُ﴾(2) فأخبر بالخلق ثم قال: والأمر، فأخبر أن الأمر غير مخلوق. وقال عز وجل: ﴿الرحمنُ. علَّم القرآنَ. خلقَ الإنسانَ. علَّمه البيانَ﴾(3) فأخبر تعالى أن القرآن من علمه. وقال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النَّصارى حتى تتَّبِعَ مِلَّتَهم قل إن هدى اللّٰه هو الهدى ولئن اتَّبعتَ أهواءَهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من اللّٰه من وليٍّ ولا نصيرٍ﴾(4). وقال: ﴿ولئن أتيتَ الذين أوتوا الكتابَ بكل آيَةٍ ما تبعوا قبلتَك وما أنت بتابع قبلتَهم وما بعضُهم بتابع قبلةَ بعض ولئن اتَّبَعتَ أهواءَهُمْ من بعد ما جاءَك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين﴾(5). وقال تعالى: وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتَّبَعتَ أهواءَهم بعد ما جاءَك من العلم ما لك من اللّٰه من وليٍّ ولا واقٍ﴾(6).

(1) سورة التوبة: آية ٦.
(2) سورة الأعراف: آية ٥٤.
(3) سورة الرحمن: الآيات ١–٤.
(4) سورة البقرة: آية ١٢٠.
(5) سورة البقرة: آية ١٤٥.
(6) سورة الرعد: آية ٣٧.

فالقرآن من علم اللّٰه تعالى، وفي هذه الآيات دليل على أن الذي جاءه صلى اللّٰه عليه وسلم هو القرآن لقوله: ﴿ولئن اتَّبعتَ أهواءَهم بعدَ الذي جاءَك من العِلم﴾.

وقد روي عن غير واحد ممن مضى من سلفنا أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام اللّٰه ليس بمخلوق، وهو الذي أذهب إليه، لست بصاحب كلام ولا أدري الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب اللّٰه أو حديث عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم أو عن أصحابه أو عن التابعين رحمهم اللّٰه، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود.

بـــاب

ذكر ما جرى بين أبي ورسول المتوكل بعد عودته من العسكر

قال أبو الفضل: وقدم المتوكل فنزل الشَّمَّاسيَّة[1] يريد المدائن، فقال لي أبي: يا صالح، أحِبُّ أن لا تذهب اليوم ولا تنبِّه عليَّ، فلما كان بعد يوم وأنا قاعد خارجاً وكان يوم مطر، إذا يحيى بن خاقان قد جاء والمطر عليه في موكب عظيم، فقال: سبحان اللَّه لم تصل إلينا حتى تُبَلِّغَ أمير المؤمنين السلام عن شيخك حتى وجَّه بي. ثم نزل خارج الزُّقاق فجهدت به أن يدخل على الدَّابَّة فلم يفعل، فجعل يخوض في المطر، فلما صار إلى الباب نزع جُرْمُوقه[2] وكان على خفه، ودخل وأبي في الزاوية قاعد عليه كساء مربَّع وعِمامة، والستر الذي على الباب قطعة خيش، فسلَّمَ عليه، وقبَّل جبهتَه وسأل عن حاله، وقال: أمير المؤمنين يُقرئُك السلام ويقول: كيف أنت في نفسك وكيف حالك؟ وقد أنِستُ بقربك ويسألُك أن تدعو له، فقال: ما يأتي علي يوم إلا وأنا أدعو اللَّهَ له.

ثم قال: قد وجَّه معي ألفَ دينار تفرِّقها على أهل الحاجة. فقال له: يا أبا زكريا أنا في البيت منقطع عن الناس وقد أعفاني من كلِّ ما أكرهه، فقال: يا أبا عبداللَّه الخلفاء لا يحتملون هذا، فقال: يا أبا زكريا تلطَّفْ في

(١) محلة ببغداد مجاورة لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد.

(٢) الجرموق ما يلبس فوق الخف.

ذلك. فدعا له ثم قام، فلما صار إلى الدار رجع وقال: أهكذا كنت لو وجَّه إليك بعضُ إخوانك تفعل؟ قال: نعم، فلما صرنا إلى الدِّهليز قال: أمرني أمير المؤمنين أن أدفعها إليك تفرقها. فقلت: تكون عندك إلى أن تمضي هذه الأيامُ.

ذكر ما جرى بين أبي وابن طاهر من طلب استزارته وامتناعه عليه

قال أبو الفضل: وقد كان وجَّه محمد بن عبداللّه بن طاهر إلى أبي في وقت قدومه بالعسكر: أحب أن تصير إليَّ وتعلمني الذي تعزم عليه حين لا يكون عندي أحد. فوجه إليه: أنا رجل لم أخالط السلطان، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكرهُ، وهذا مما أكرهُ.

فجهد أن يصير إليه فأبى.

بـــاب

في ذكـر مرضــه

قال أبو الفضل: وكان قد أدمن الصوم لما قدم، وجعل لا يأكل الدَّسَمَ وكان قبل ذلك يُشترى له شحم بدرهم فيأكل منه شهراً، فترك أكل الشحم وأدام الصوم والعمل، وتوهَّمت أنه قد كان جعل على نفسه ذلك إن سَلِم.

وكان قد حُمِل أبي إلى المتوكل سنة سبع وثلاثين ومئتين، ثم مكث إلى سنة إحدى وأربعين، وكان قَلَّ يوم يمضي إلا ورسول المتوكل يأتيه، فلما كان في أوَّل يوم من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئتين، حُمَّ أبي ليلة الأربعاء، فدخلت عليه يوم الأربعاء وهو محموم يتنفَّسُ تَـنَـفُّساً شديداً، وكنت قد عرفت علَّتَـه وكنت أمرضه إذا اعتلَّ، فقلت له: يا أَبَه على ما أفطرت البارحة؟ قال: على ماء باقلاء، ثم أراد القيام فقال: خذ بيدي فأخذت بيده، فلما صار إلى الخلاء ضعفت رجلاه حتى تَوَكَّـأ عليَّ، وكان يختلف إليه غيرُ مُتطبِّب كلُّهم مسلمون، فوصف له متطببٌ يقال له عبدالرحمن قرعة تُشوى ويُسقى ماءَها، وهذا يوم الثلاثاء، وتوفي يوم الجمعة، فقال: يا صالح، قلت: لبيك. قال: لا تُشوى في منزلك ولا في منزل عبدالله أخيك.

وصار الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده فحجبتُه، وأتى علي بن الجعد فحجبتُـه، وكثُر الناسُ فقلت: يا أبه قد كثر الناس. قال: فأيَّ شيء ترى؟ قلت: تأذن لهم فيدعون لك، قال: استخرِ اللَّه.

فجعلوا يدخلون عليه أفواجاً حتى تمتلىء الدار فيسألونه ويدعون له ثم يخرجون، ويدخل فوجٌ آخر، وكثر الناس وامتلأ الشارع وأغلقْنا باب الزُّقاق، وجاء رجل من جيراننا قد خضب فدخل عليه، فقال أبي: إني لأرى الرجل يُحيي شيئاً من السنة فأفرح، فدخل فجعل يدعو له، فجعل يقول له ولجميع المسلمين.

وجاء رجل فقال: تلطَّفْ لي بالإذن عليه فإني قد حضرت ضربه يوم الدار وأريد أن أستحِلَّه. فقلت له فأمسك، فلم أزل به حتى قال: أدخله فأدخلته، فقام بين يديه وجعل يبكي، وقال: يا أبا عبداللَّه أنا كنت ممن حضر ضربك يوم الدار، وقد أتيتك فإن أحببتَ القِصاصَ فأنا بين يديك وإنْ رأيت أن تُحلِّني فعلتَ، فقال: على أن لا تعودَ لمثل ذلك؟ قال: نعم. قال: إني جعلتُك في حِلٍّ، فخرج يبكي وبكى من حضر من الناس.

وكان له في خُريقة قُطيعات، فإذا أراد الشيء أعطينا من يشتري له، فقال لي يوم الثلاثاء وأنا عنده: انظر في خريقتي شيء؟ فنظرت فإذا فيها دراهمُ، فقال: وجِّه فاقْضِ بعض السكان، فوجهت فأعطيت شيئاً، فقال: وجه فاشتر تمراً وكفر عني كفارة يمين، وبقي ثلاثة دراهم أو نحو ذلك فأخبرته، فقال: الحمد للَّه.

وقال: اقرأ عليَّ الوصية فقرأتها عليه فأقرَّها.

وقال أبو الفضل: لم يزل أبي يصلي في مرضه قائماً، أُمسِكُه فيركعُ ويسجد وأرفعه في ركوعه وسجوده، ودخل عليه مجاهد بن موسى فقال:

يا أبا عبدالله قد جاءتك البشرى هذا الخلق يشهدون لك، ما تُبالي لو وردتَ على الله الساعة، وجعل يقبِّل يده ويبكي، وجعل يقول: أوصِني يا أبا عبدالله، فأشار إلى لسانه.

ودخل سَوَّارٌ القاضي فجعل يبشره ويخبره بالرخص، وذكر له عن معتمر أنه قال: قال أبي عند موته: حدثني بالرخص.

واجتمعت عليه أوجاع الحَصَر وغيرُ ذلك، ولم يزل عقلُه ثابتاً، وهو في خلال ذلك يقول: كم اليوم في الشهر؟ فأخبره. وكنت أنام بالليل إلى جنبه فإذا أراد حاجة حركني فأناوله. وقال لي: جئني بالكتاب الذي فيه حديث ابن إدريس عن ليث عن طاوس أنه كان يكره الأنين، فقرأتُه عليه فلم يئِنَّ إلا في الليلة التي توفي فيها.

بــاب

في ذكر غسله وكفنه

قال أبو الفضل: لما توفي أبي واجتمع الناس في الشوارع وجَّهتُ إليهم أعلمهم بوفاته وأني أخرجه بعد العصر، ووجه ابن أبي طاهر بحاجبه مظفر ومعه غلامان معهم مناديل فيها ثيابٌ وطيبٌ، فقالوا: الأميرُ يقرئُك السلام ويقول: قد فعلت ما لو كان أميرُ المؤمنين حاضرَه كان يفعل ذلك له، فقلت له: أقرئه السلام وقل له: إن أمير المؤمنين قد أعفاه في حياته مما كان يكرهُ، ولا أحِبُّ أن أتْبِعَهُ بعد موته بما كان يكرهُه في حياته، فعاد وقال: يكون شعارَه ولا يكون دِثارَه، فأعدت عليه مثل ذلك.

وقد كان غزلت له جارية ثوباً عُشارياً قُوِّم بثمانية وعشرين درهماً ليقطع منه قميصين، فقطعنا له لُفافتين، وأخذنا من بوران لفافة أخرى فأدرجناه في ثلاث لفائف واشترينا حَنوطاً.

وقد كان بعض أصحابنا من العطارين سألني أن يوجِّهَ بحَنوط، فلم أفعل، وصب في حُبٍّ لنا ماء، فقلت: قولوا لأبي محمد يشتري راوية ويصب الماء في الحب الذي كان يشرب منه فإنه كان يكره أن يدخل من منازلنا إليه بشيء، وفُرغ من غسله وكفَّنَّاه، وحضر نحوٌ من مئة من بني هاشم ونحن نكفِّنه، وجعلوا يُقَبِّلُون جبهتَه حين رفعناه على السرير.

بـــاب

في ذكـر المتقـدم للصـلاة عليـه

قال أبو الفضل: لما توفي أبي وجه إليّ ابن طاهر: من يصلي عليه؟ قلت: أنا، فلما صرنا إلى الصحراء إذا ابن طاهر واقف، فخطا إلينا خُطُواتٍ وعزَّانا ووُضع السرير، فلما انتظرت هنيهة تقدمتُ وجعلتُ أُسَوِّي الناس، فجاءني ابن طالوت ومحمد فقبض هذا على يدي، وهذا على يدي، وقالوا: الأمير، فنحَّياني فصلَّى، ولم يعلم الناس بذلك، فلما كان الغد علم الناس فجعلوا يجيئون ويصلون عليه على القبر، ومكث الناسُ ما شاء اللّـهُ يأتون فيُصلُّون على القبر.

تم الكتاب

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة